طبعة ثانية

طنّوس معوّض

١٨ يوماً من عمر لبنان

عهد الرئيس رينه معوّض



مقدمة الرئيس حسين الحسيني



شهادات
النهار

طنوس معوّض

١٨ يوماً من عمر لبنان

عهد الرئيس رينه معوض

مقدّمة

الرئيس حسين الحسيني



الطبعة الأولى، تشرين الأول ٢٠٠٢
الطبعة الثانية، تشرين الثاني ٢٠٠٢

ص ب ٢٢٦-١١، بيروت، لبنان
فاكس ٥٦١٦٩٣-١-٩٦١

ISBN 2-84289-405-7

المحتويات

مقدّمة

اكتسب رينه معوض خبرات واسعة في الشأن العام، من خلال تمرسه في العمل السياسي، وخدمته وطنه نائباً ووزيراً، ومن خلال معايشته ومشاركته في «الفترة الشهابية» إذا صحّ التعبير، وما حققته من خطوات في سبيل إقامة الدولة وبناء مؤسساتها، وما تعرضت له من صعوبات، لعل ما تضمّنه «كتاب العزوف» عن الترشيح لولاية ثانية، أفضل تعبير للرئيس فؤاد شهاب عنها.

والأهم، في نظري، أنّ رينه معوض قد اكتسب خبرة كبيرة في تكوين الوطن اللبناني، الاجتماعي والسياسي، وعلاقة لبنان بمحيطه العربي، ولا سيما بشقيقته الأقرب سوريا.

فوعى حقيقة أنّ ما يصيب منطقة من مناطق لبنان، أو جماعة من جماعات شعبه، أو مؤسسة من مؤسسات دولته، لا يقتصر على هذه المنطقة، أو هذه الجماعة، أو هذه المؤسسة.

ووعى حقيقة أنّ لبنان يكون بكل مناطقه وجماعاته حرّاً سيداً مستقلاً، أو لا يكون.

ووعى حقيقة أنّ لا حرّية إلاّ لجميع اللبنانيين، ولا سيادة إلاّ للدولة الواحدة، ولا استقلال إلاّ بوحدة اللبنانيين.

إنّها حقيقة المحنة الرهيبة، ودرس التاريخ الذي إن ننساه ضاع الوطن، حيث لا حرية لا سيادة ولا استقلال.

وكان في وعي وممارسة الرئيس رينه معوض، أنّ احتلال إسرائيل لأرض

اللبنانيين، وأهداف إسرائيل تجاه كيان اللبنانيين، أصبحت تجارب ووقائع في وعي اللبنانيين، وفي تاريخهم وعلى أرضهم، ليس من حق اللبنانيين تجاهلها والتعامي عن حقائقها.

فسوء التقدير قد يؤدي إلى ضياع الأوطان.

وقد برز هذا الوعي بروزاً شديداً عند رينه معوض إبّان المحنة اللبنانية - المأساة، فكان لا يفوّت فرصة إلاّ وينتهزها في سبيل وضع حدّ لها، سواء في إصراره على اجتياز الحواجز التي قطعت التواصل بين الأحياء والقرى والبلدات والمناطق اللبنانية، أم في المشاركة في السعي الدؤوب لوضع الصيغ الملائمة لمسائل الوفاق الوطني.

فكان من المشاركين البارزين في إعداد مشروع وثيقة تحت عنوان «المبادئ الأساسية اللبنانية» التي نالت شبه إجماع النواب في المشاورات الأولى، وأصبحت جاهزة بتاريخ ١٠ آذار ١٩٨٥، حيث جاء في مقدمتها ما يأتي:

«إنطلاقاً من حقيقة الأخطار التي تهدد لبنان ومصير اللبنانيين، وانطلاقاً من الواجب الوطني والدستوري، واجب الحفاظ على لبنان وطناً موحداً نهائياً لجميع أبنائه، عربي الانتماء والهوية، سيداً حراً مستقلاً، بحدوده المنصوص عنها في الدستور والمعترف بها دولياً، وانطلاقاً من واجب إظهار وتحقيق الإرادة الوطنية، وهي إرادة خلاص من المحنة والانقسام والاحتلال، وهي قبل ذلك، إرادة خلاص من أسباب المحنة والانقسام والاحتلال، واستجابة لما يجسّد هذه الإرادة من أعمال المقاومة للاحتلال، والرفض للاستبداد والإرهاب، وتقديراً لما تنطوي عليه من اتجاه توحيدي، لمجابهة خطر الزوال اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، بالانتقال بلبنان واللبنانيين، من حالة التمرد والفوضى إلى حالة الحرية والنظام، ومن حالة الخوف إلى حالة الشعور بالأمان، ومن الانقسام والانغلاق وحكم الميليشيات إلى الوحدة والانفتاح وسيادة القانون، ومن الحرمان والتهجير والتشريد إلى الاستقرار والعمل المنتج والعيش الكريم، ومن التسلط والفساد وتوزيع الحصص إلى الحكم والإدارة والتكافل والتضامن، ومن الخراب والدمار إلى الإنماء والأعمار.»

وفي مقدمة هذه المبادئ التي كان من المقرر إعلانها باسم المجلس النيابي،

في اقرب جلسة يعقدها لهذه الغاية:

«أولاً- ميثاق العيش المشترك والشرعية

ميثاق العيش المشترك ميثاق مقدس لا شرعية لأي سلطة تناقضه، وكل عمل يرمي إلى نقضه يشكل خيانة عظمى.»

وفي صلب هذه «المبادئ الأساسية اللبنانية»:

«رابع عشر - لبنان وإسرائيل

أن موقف لبنان من إسرائيل ينطلق من الموقف العربي العام، ومن حقوق الشعب الفلسطيني الشقيق، وقبل ذلك، ينطلق من حقيقة أطماع إسرائيل المباشرة بأرض لبنان ومياهه، ومن مخططاتها لضرب الصيغة اللبنانية القائمة على التسامح والعيش المشترك، وهي صيغة تناقض طبيعة الكيان الإسرائيلي المبني على العنصرية الدينية، لذلك، فان الموقف اللبناني، يفرض تحرير الأرض اللبنانية من الاحتلال الإسرائيلي، ويتنافى مع أي شكل من أشكال التعاون أو التعامل مع العدو الإسرائيلي المحتلّ.»

غير أن ما سمي انتفاضة ١٢ آذار ١٩٨٥، وتداعياتها، حالت دون انعقاد الجلسة، وفرضت تأجيل الإعلان لهذه المبادئ.

وإذا كان العميد الصديق طنوس معوض قد بدأ في الكتابة عن الرئيس الراحل رينه معوض، بما اتصل بعلمه نتيجة قربه منه، ومعايشته مراحل من مسيرته، وهذا العمل إنما هو بداية صالحة للاستناد إلى ما حوته من وقائع شاهدها المؤلف، فإن هذه البداية لا بد لها من استكمال.

فالرئيس رينه معوض في كل مراحل حياته كان قبلة الأنظار ومحط الإعجاب والتقدير، حيث أخذ على عاتقه تقريب وجهات النظر بين مختلف الأطراف الذين أرضاهم بحسن لباقته وصدقه وإخلاصه، فوقع عليه الاختيار.

وواجبي في هذه العجالة أن اثبت واقعة، وهي أنّه في مطلع العام ١٩٨٩، وبعد اللقاءات مع اللجنة العربية السداسية المنبثقة عن مجلس جامعة الدول العربية، الهادفة إلى البحث في إنهاء الفراغ الدستوري الذي حصل بفعل تعطيل جلسة انتخاب رئيس جديد للجمهورية، وقبل انعقاد قمة الدار البيضاء في أيار ١٩٨٩، حاولت تأمين عقد جلسة للمجلس النيابي في الديمان (مقر البطريركية

المارونية الصيفي) لانتخاب رينه معوض رئيساً للجمهورية .

غير أنّ رينه معوض عارض الفكرة ، مع علمه بالإمكانية العالية لنجاحها ، معتبراً أنّ إقرار مبادئ الوفاق الوطني يجب أن يحصل قبل انتخاب الرئيس ، وإلاّ سيكون الرئيس ، أي رئيس ، عاجزاً عن تنفيذ بنود الوفاق ، فعدلنا عن المضي بالفكرة ، ولا سيما وأنّ منطق الرئيس معوض كان متفقاً مع ما عرضناه أمام اللجنة العربية السداسية .

فكان اللقاء النيابي في مدينة الطائف ، وكان إعلان مشروع وثيقة الوفاق الوطني ، التي أطلق عليها اسم «اتفاق الطائف» .

لقد قام المجلس النيابي عام ١٩٨٩ ، الذي من ابرز رموزه رينه معوض ، بواجبه الوطني والدستوري ، بما يفوق طاقة العقول والأجساد ، في كثير من الأحيان ، وبما يؤمن ما عزّ تأمينه من استمرار الدولة ، وتواصل الشعب ، طيلة سنوات المحنة ، فاظهر الإرادة ، وكانت الخطى ثابتة ، التي كان أهمها ، إقرار وثيقة الوفاق الوطني في جلسة ٥ تشرين الثاني ١٩٨٩ في قاعدة مطار القليعات ، وانتخاب الرئيس رينه معوض رئيساً للجمهورية .

وباغتيال الرئيس رينه معوض خسر لبنان ركناً أساسياً من أركانه ، وكان لهذه الخسارة الكبرى الآثار السلبية على استكمال خطوات الوفاق الوطني حتى يومنا هذا .

وللحديث صلة .

بيروت في ٢٦ أيلول ٢٠٠٢

حسين الحسيني

إلى جميع شهداء الحرب اللبنانية وعائلاتهم

الى زوجتي وأولادي

أتوجه بالشكر العميق الى الأساتذة جبور الدويهي وعبدالله معوض
وجان هاشم لمساهمتهم في إعداد هذا الكتاب

الطريق الى الرئاسة

عام ١٩٥٧ كنت على عتبة السابعة من العمر. في زغرتا، مسقط رأسي ومكان إقامتي، كانت والدتي تصطحبني في أيام الآحاد لزيارة سيد عجوز. وفي اثناء زيارتنا له يروح يسألني عما إذا كنت مجتهداً في المدرسة، يحدثني كشاب راشد محفزاً إياي على أن أكون رجلاً مهماً في المستقبل. لم يكن هذا السيد سوى ميشال بك معوض، جد النائب رينه معوض.

أما في الثانية عشرة من عمري فقد صار والدي يأخذني، يوم الأحد، عند رينه بك معوض لالقاء التحية عليه، مثل معظم أولاد آل معوض المقيمين آنذاك في تلك البلدة.

وأبناء زغرتا كانوا يحبون كثيراً الكلام في السياسة حتى وإن لم يكونوا متضلعين فيها، اللبنانية منها بشكل عام، وفي سياسة البلدة بنوع خاص، كما كانوا يحبون الكلام على السلاح والمشاجرات مما أكسبهم مع الوقت سمعة المشاغبين والمقاتلين الشجعان. وهكذا بدأت منذ مراهقتي أطلع على أخبار السياسة في منزلنا او في محيط آل معوض، فتتردد على مسمعي في كل مرة أسماء فؤاد شهاب ورشيد كرامي والياس سركيس، وتذكر المدرسة الشهابية، تلك المدرسة السياسية التي أسسها الرئيس فؤاد شهاب ومنها تخرج أتباع متميزون أمثال الرؤساء رشيد كرامي والياس سركيس ورينه معوض.

كانت عائلتي كلها تكرر القول ان رينه معوض هو بمثابة ابن للرئيس فؤاد شهاب وأن هذا الأخير يعده ليصبح يوماً ما رئيساً للجمهورية اللبنانية. وبالنسبة

الينا كان رينه معوض الراعي والدعامة، عليه تبنى الآمال وفيه نجد سنداً. كنا نعلم تماماً ومتأكدين أننا إذا احتجنا أمراً ما يمكننا طرق بابه بدون موعد وأنه يستقبل الجميع بالترحاب، وهو لم يكن يحب المشاجرات أو المشاكل، وكلما سنحت الفرصة كان يشجعنا على الاهتمام بدروسنا مؤكداً علينا دائماً أنه من المفترض بكل فرد من العيلة أن يحصل على شهادة جامعية. فهو الزعيم السياسي الوحيد في شمال البلاد الذي كان يشجع أنصاره بإلحاح على متابعة الدراسة ويساعدهم في الحصول على المنح الدراسية. وبعد الحرب الأهلية في العام ١٩٥٨ وسلسلة الأحداث المحلية بين العائلات الزغرتاوية حيث سقط العديد من الزغرتاويين ما بين قتلى وجرحى، رغب في تغيير هذا الواقع فحث وشجع أبناء العيلة على مغادرة البلدة للعيش في طرابلس وجونيه وبيروت، وقد ساعدهم في الحصول على الوظائف في القطاعين العام والخاص، وخصوصاً في كازينو لبنان.

كانت بلدة زغرتا قد تركت صورة قاتمة في ذاكرة اللبنانيين، وقد أطلق عليها اسم بلدة «النساء الغاطسات جميعاً في الأسود» أو صقلية لبنان، تلميحاً الى التشابه مع المافيا الايطالية. وهذه الصورة هي التي عمل رينه معوض على محوها عبر تشجيعه الناس على العلم والعمل. اراد أن يكون لكل فرد من العيلة عمله ومنزله والمدرسة التي يعلم فيها أولاده، مؤمناً بأنه إذا ما ساعد الناس على رفع مستواهم الاجتماعي فانهم سيتحولون أناساً مسالمين ومواطنين صالحين. وفي الواقع ان الزغرتاويين أنفسهم الذين كانوا يحملون السلاح في كل مناسبة قد تحولوا أشخاصاً مسالمين عندما احتلوا، وبفضله بنوع خاص، مواقع محترمة في المجتمع.

في العام ١٩٦٩ حزت شهادة البكالوريا اللبنانية-القسم الثاني وأردت دخول المدرسة الحربية لأتخرج منها ضابطاً، فقصدته أطلب مساعدته. فنصحني بان أبذل جهدي في امتحان الدخول كي يكون فخوراً امام القيادة على أساس انه يدعم طالباً بارعاً. وأذكر أنني عندما قدمت الامتحانات الشفهية في المدرسة الحربية في الفياضية مثلت أمام لجنة عسكرية برئاسة الجنرال أنطون سعد قائد منطقة جبل لبنان العسكرية آنذاك والرئيس السابق للمكتب الثاني، والذي كنت

قد سمعت باسمه المعروف في محيطنا الشمالي دون أن ألتقيه من قبل. وعندما ذكرت اسمي، بلهجتي الزغرتاوية، فاجأني الجنرال سعد بقوله أن رينه معوض ذو انف شديد القبح وأنه ليس من الذكاء بشيء. فأحسست أن الدم فار في وجهي وأن ضغطي ارتفع ورحت احاول إيجاد الطريقة الملائمة للرد على هذه الاهانة غير المتوقعة، وإذ رآني على هذه الدرجة من الاضطراب بادر الجنرال سعد الى طمأنتي بأنه أراد ممازحتي، وأنه بالعكس، معجب بذكاء رينه معوض ويكن له محبة كبيرة. وهكذا انتهى الامتحان الشفهي في جو من المزاح، عندما قال لي أن قريته تولا أعلى من زغرتا، فأجبته، في الجو نفسه، أنها تحت اهدن (مصيف الزغرتاويين).

وفي أثناء تدرجي كتلميذ ضابط في المدرسة الحربية في الفياضية كنت دائماً أحلم بأن رينه معوض سيصل يوماً الى رئاسة الجمهورية وأنني سأكون مرافقاً له في القصر الجمهوري أو ربما قائداً للحرس الجمهوري. فقد كان لكل فرد من آل معوض حلمه الشخصي يود تحقيقه مع رينه معوض على أساس أنه يشكل نافذة أمل يحسن بها أوضاعه وأوضاع أولاده. وكان هذا الحلم يراودهم في ليالي البرد والأيام الصعبة. في تلك الأيام كان ما يزال مسموحاً للبنانيين بأن يحلموا وهذا أمر رائع.

في العام ١٩٧٢، في الأول من شهر آب، أديت مع رفاقي الضباط الملازمين المتخرجين قسم الولاء للوطن واستلمت سيف التخرج على يد الرئيس سليمان فرنجية في الاحتفال التقليدي في المدرسة الحربية في الفياضية. كان الرئيس فرنجية، وشقيقه البكر حميد فرنجية الذي تولى قبله زعامة آل فرنجية السياسية، الحليفين الرئيسيين لرينه معوض في زغرتا منذ العام ١٩٥٦. وفي العام ١٩٥٨، خلال الحرب الأهلية الأولى في لبنان، لجأ سليمان فرنجية ورينه معوض الى منطقة اللاذقية في سوريا. لكن الانتخابات الرئاسية في العام ١٩٧٠ جعلتهما في حالة نزاع، إذ ان معوض، الشهابي الانتماء، صوت لالياس سركيس ضد سليمان فرنجية الذي فاز في الانتخابات بفارق صوت واحد. وبالرغم من ذلك ظل الرجلان يتبادلان الاحترام ويحتفظ كلاهما بنقطة ضعف تجاه الآخر، وعندما ينفردان كانا كفيلين بحل كل ما يواجهانه من مشاكل، فما بينهما احترام

وحب كبيران .

وما بعد هذه الانتخابات الرئاسية ، فترت العلاقة بين آل فرنجية وآل معوض ، ولن تسوى الأمور الا مع اندلاع الحرب الأهلية في العام ١٩٧٥ حين توحدت جميع العائلات الزغرتاوية ، يحفزها الدفاع عن زغرتا في وجه الهجومات الفلسطينية والسورية التي كان الهدف منها ممارسة الضغط السياسي والعسكري على رئيس الجمهورية سليمان فرنجية لاجباره على الاستقالة .

في العام ١٩٧٥ كنت أشغل مركز ضابط إشارة منطقة بيروت العسكرية ، وبعد الانقلاب العسكري الفاشل الذي قاده الجنرال عزيز الأحدب ، قائد منطقة بيروت ، تركت مقر عملي لألازم شقتي في منطقة الاشرفية في بيروت . لقد انقسم الجيش اللبناني ولم أرغب في الالتحاق بأي من المعسكرين لإيماني بجيش واحد موحد .

في هذه الأثناء جرت معارك قاسية في زغرتا أفضت الى سقوط جبهة مدرسة الكرملية في مجدليا ، على بعد ثلاث كيلومترات من زغرتا البلدة .

يوم الحادثة هذه بالذات عرج رينه معوض علي في شقتي في الاشرفية ، في شارع ساسين ، وحملني بالاكراه تقريباً على مرافقته الى زغرتا لمساعدة أبنائها في الدفاع عن البلدة ولمنع فرار المقاتلين الى اهدن . في تلك المرحلة الصعبة من الحرب والموت ، وحين لم يكن من قيمة للمال والسلطة ، نشأت بيننا علاقة وطيدة قائمة على الاحترام والثقة المتبادلين . في زغرتا كنت أنام في منزله ، وقد تحول مركز عمليات حربية . وكانت قرينته ، نائلة معوض ، قد لازمت زغرتا تحت القصف لم تبارحها يوماً واحداً خلال سنتي الحرب ، ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ، ويوم التجأ الناس الى اهدن بعد سقوط جبهة الكرملية ، وصلت ليلاً الى زغرتا برفقة رينه معوض . كانت السيدة نائلة معوض في المنزل مع بعض الرجال وكان النائب طوني فرنجية مع بعض الرجال أيضاً في المدرسة المهنية في منطقة عردات عند مدخل زغرتا من جهة طرابلس . هناك وعند منتصف الليل التقيته للمرة الأولى ، كان مرهقاً وبحاجة الى النوم ، فسألته عما ينوي القيام به فأجابني بكل بساطة : «سنقاتل حتى الموت ولن يمروا من هنا الا على جثثنا . »

أما رينه معوض فقد اضطر الى خوض حرب دفاعية لحماية بلدته وأبنائها ، إذ

لم يكن مقتنعاً بانشاء ميليشيا منظمة وهو لم يفعل . كان يؤمن بوطن موحد تصونه فقط مؤسساته الرسمية والشرعية .

أما على صعيد منطقة الشمال والوضع الحرج بين زغرتا وطرابلس فلقد عطل تحالف النائب رينه معوض مع الرئيس رشيد كرامي كل الألغام الطائفية والمؤامرات الخبيثة التي كانت تحاك للإيقاع بينهما ، فهو ، وفي احلك الظروف ، لم ينقطع عن زيارة طرابلس وأهلها ومرجعياتها المختلفة وذلك بالتفاهم والتنسيق بينه وبين الرئيس كرامي .

وخلال سنتي الحرب هاتين ، واتتني الظروف كي أتعرف عن قرب بالنائب طوني فرنجية . كان سيداً كبيراً ، يتمتع بروح الفروسية وبشجاعة لا حدود لها . وقد توطدت أواصر صداقة متميزة بيننا لم تحكمها المصالح المادية . كان طوني فرنجية ، وبشكل لا يصدق ، زاهداً بالمال ولا يولي أي اهتمام للأمور المادية ، يعطي الآخرين كل ما يملك ، يحترم كلمته ووعوده الى أقصى درجة ، يصرح بالأمور مواجهة وليس غيبة . وفي هذه المرحلة من الحرب الأهلية في زغرتا تعمقت المعرفة فعلاً بين رينه معوض وطوني فرنجية ، الذي لم يكن يحب رينه من قبل لأنه صوّت ضد والده في الانتخابات الرئاسية ولم تكن بينهما علاقة متينة ، لكنهما احتفظا على الدوام بالاحترام المتبادل . وفي تلك الأوقات الصعبة من الحرب الأهلية ، نشأت بينهما صداقة مميزة تعززها ثقة تامة واحترام متبادل عميق . كان طوني معجباً الى حد كبير بحكمة وحنكة رينه وبمقدرته على حل المشاكل بمجرد ابتسامة ، وكثيراً ما قال لي ان الله قد منّ علينا برينه معوض في مرحلة الحرب هذه ليساعدنا في حل مشاكلنا وخصوصاً المالية منها واللوجستية . كما كان يقول لي أنه سيصبح قريباً وزيراً للدفاع في لبنان وانه سيصر على أن أستقبله على مدخل الوزارة أنا شخصياً وفي يدي «البرزان» (البوق) أعزف له النشيد الوطني اللبناني .

كان رينه يقدر ما لدى طوني من شجاعة وصراحة وصدق وإخلاص ، وقد شكلا معاً ثنائياً مارونياً فريداً ومتميزاً لم يكتب له ، وللأسف عمراً طويلاً بسبب اغتيال طوني فرنجية في اهدن ، في ١٣ حزيران عام ١٩٧٨ على يد حزب الكتائب اللبنانية .

علاقة أخرى متينة ربطت رينه معوض بالزعيم الزغرتاوي الأب سمعان الدويهي، صاحب المواقف الوطنية الصلبة. فبالرغم من بعض التباين في المواقف السياسية على الصعيد الوطني العام ظل الأب سمعان يكن احتراماً كبيراً لمعوض الذي كان يعرف كيف يتعامل ويتفاهم معه، ويقنعه بالمواقف المطلوبة لدرجة أنه بات يقال إن رينه معوض هو «مفتاح» الأب الدويهي.

فالعدائية لم تكن تجد مكاناًلها عند رينه معوض، بل كان مهادناً ومسالماً حيث يجب ولكن كان رجل مبادئ عنيداً وصلباً في الساعات الحرجة. كان محاوراً هادئاً ومقنعاً رصيناً يغلب الروية والعقلانية على الانفعال والتسرع، فالقواسم المشتركة التي تجمع بنظره كانت دائماً أرجح من المواضيع الخلافية التي تفرق.

وفي الحقيقة أن رينه معوض احترم الأب الدويهي لمواقفه الوطنية ولجرأته وشجاعته النادرة. ومثالاً على هذه الشجاعة لا بد من ذكر حادثة لها دلالاتها في هذا المجال. فيوم سقوط مركز الكرملية في مجدليا في حرب السنتين، كان المطلوب تدعيم متراس بيت آل دحدح المواجه للكرملية ولا يبعد عنها سوى عشرات الأمتار، لكن سائق الجرافة المولج بهذا العمل خاف الاقتراب من الخطوط الأمامية لئلا يتعرض للقنص او القصف، ولم يستطع احد اقناعه بتنفيذ المهمة الا الأب سمعان وعلى طريقته، فقد صعد الى رفش الجرافة وطلب الى السائق أن يتقدم، وطبعاً حين رأى السائق زعيماً يعرض نفسه بهذا الشكل لم يبقَ امامه الا أن يفعل ما طلب اليه.

بعد توقف الحرب اللبنانية في العام ١٩٧٦ رافقت رينه معوض وزوجته الى أوستراليا حيث شارك في المؤتمر البرلماني الدولي. لقد اراد أن يخرجني من اجواء الحرب. ففي هذا العالم، وبفعل كيمياء معينة قد ينشأ شيء من التجاذب والانسجام بين بعض الناس، وإذا ما كان هذا صحيحاً فأعتقد أن هذا انطبق علينا نحن الاثنين، مع انه كان هو زعيم العيلة العشائرية وانا مجرد فرد من هذه العشيرة. كانت تطيب له مناكدتي وتركيب المقالب معي خصوصاً في ما يتعلق بمسألة هاجس نظافتي الجسدية والأخلاقية. لقد تمتع بحدة ذكاء وبنباهة ساعدته في تفكيك رسائل مرمزة تعجز عنها الآلات. كان بامكانه قراءة الممحي كما يقال

في لبنان، يسهل عليه فهم المستعصي على الآخرين ويتمكن من إفهامهم إياه. يتمتع بصبر الرجل العجوز الذي تحدث عنه ارنست هامنغواي في كتابه: «العجوز والبحر».

ارتاح كثيرا لانتخاب صديقه الياس سركيس رئيساً للجمهورية في العام ١٩٧٦، لكن وجود فؤاد بطرس وجوني عبده في السلطة أبقاه الى حد ما في الظل، الا ان صداقته توطدت مع الرئيس سركيس اكثر من اي وقت مضى، وقد عين في نهاية عهده وزيراً للتربية. وفي تلك الفترة من سنة ١٩٨٢ والقوات الاسرائيلية على قاب قوسين من مبنى المتحف الوطني أنقذ رينه معوض التراث اللبناني من السلب ومن عبث قوات العدو، فأقدم وبواسطة أنصاره من شباب آل معوض على نقل الموجودات الأثرية الثمينة من مبنى المتحف، قسماً الى الطابق السفلي من البنك المركزي وقسم آخر الى مبنى الأونيسكو. وكل ذلك تم في ساعات معدودة وتحت وابل من الرصاص والقذائف قناعة من رينه معوض بان البلاد التي لا تحافظ على تراثها وتاريخها لا تستحق الحياة.

وفي العام ١٩٧٧ هو الذي ساعد في انتقالي الى مديرية المخابرات في الجيش، طالباً ذلك من الرئيس سركيس الذي أبلغ الأمر الى مدير المخابرات جوني عبده.

في العام ١٩٧٧ كنت اتناول طعام الغداء عنده في الأشرفية عندما سمعنا رشقات بعض رصاص في المنطقة، فاتصل بصديق يستوضحه عما يجري، فعلم أن كمال جنبلاط اغتيل وأن الميليشيات المسيحية تطلق النار في الهواء ابتهاجاً. رد سماعة الهاتف وقد شحب وجهه وراح يرتجف مغضباً، ثم قال لي ما لم ولن أنساه أبداً: «تأمل بي جيداً وتذكر، كل هؤلاء الذين يطلقون النار اليوم سوف يبكون دماً على ما يفعلون، إن استقلال لبنان يواجه خطراً جدياً». كان ذلك في ١٦ آذار عام ,١٩٧٧ والحقيقة أن رينه معوض رأى في كمال جنبلاط مرجعية وطنية كبيرة لا تستطيع الا أن تحترمه أكنت متفقاً أم مختلفاً معه.

وفي ١٣ حزيران عام ١٩٧٨ وقعت الكارثة التي غيرت حياة رينه معوض وبالتأكيد مصير الموارنة بنوع خاص ولبنان بشكل عام. إنها مجزرة اهدن التي سقط فيها طوني فرنجية وزوجته فيرا وابنته جيهان وثلاثة وثلاثين من أبناء زغرتا

الابرياء الذين هبوا للدفاع عن بلدتهم بشكل بطولي ، وقد ظنوا أنهم يتعرضون لهجوم من جانب الفلسطينيين ، ولم يخطر في بالهم أنهم يتعرضون لعملية بوليسية قاتلة من أبناء البلد الواحد والطائفة الواحدة والمصير المشترك الواحد . وللأسف ان هذه الحادثة قد زرعت القسمة بين موارنة لبنان بعد ان كانت حرب ١٩٧٥ قد وحدتهم . فمع إضعاف الموارنة راح الوضع يزداد تفجراً في البلاد لدرجة أنها خسرت استقلالها الفعلي ، وهكذا خسر رينه معوض بموت طوني فرنجية زعيماً كان الحليف الأقوى والأقرب الى قلبه وضميره . ومن جهة أخرى خسر حرية الحركة في المنطقة المسيحية من جبل لبنان التي كانت تحت سيطرة الميليشيات المسيحية . غادر بعدها منزله في الأشرفية ليقيم مدة شهر في القصر الرئاسي في بعبدا ، قبل ان يقرر السكن في منطقة الحازمية التي كانت منطقة محايدة أو منطقة الدولة إذ تقع في محيطها وزارة الدفاع الوطني والقصر الجمهوري .

أنا شخصياً أعتقد ان طوني فرنجية كان من خامة الزعماء الكبار ، ولو كتبت له الحياة الطويلة لكان فاق والده في زعامته ليصبح أحد اكبر الزعماء في لبنان .

لقد آمن رينه معوض بالميثاق الوطني والدستور وبمؤسساته . القوانين كانت مقدسة بالنسبة اليه ، إذ يرى انها قد وضعت كي تحترم وكي تضمن سيادة البلاد وتحسن حياة العباد . ولم يكن ابداً من الوارد بالنسبة اليه أن يقدم على عمل خارج القانون . أحب كثيراً الجيش اللبناني معتبراً أنه حامي الدستور وإحدى الركائز الأساسية للنظام اللبناني . وإذ رئس اللجنة النيابية للمال والموازنة على مدى عشرين عاماً فقد صار يعرف عن ظهر قلب جميع خفايا موازنة الدولة وخصوصيات كل منطقة على حدة . وبفضل هذا الدور صار جميع رجالات السياسة كما كبار موظفي القطاعين العام والخاص بحاجة اليه كلما أرادوا خدمة أو احتاجوا تفسيراً ما أو نصيحة مهنية . وقد كلفتني قيادة الجيش مرات عديدة زيارته من أجل مطالب تتعلق بموازنة وزارة الدفاع ، وهو بدا على الدوام متعاوناً مع الجيش بسبب نقطة ضعفه إزاءه منذ ايام الجنرال فؤاد شهاب مؤمنا بشكل وثيق بدوره الفعلي في حماية الوطن ، لكن دائماً دون مخالفة القوانين ، إذ رفض على الدوام انتهاك القانون وحرمة المؤسسات التي اعتبرها الضمانة الوحيدة لهيبة

الدولة ومرجعيتها .

رأى رينه معوض أن عليه أن يتعامل مع مختلف المناطق اللبنانية وأن يكون له موطئ قدم فيها دون أي تمييز بينها ، فأقام العلاقات مع مختلف الفصائل والأحزاب والهيئات والطوائف ومؤسسات المجتمع المدني في لبنان دون استثناء أي منها .

في احدى الامسيات عرجت عليه في منزله في الحازمية كما كنت أفعل كل مساء قبل أن أعود الى منزلي ، فوجدته غاضباً جداً ، ولما سألته أوضح لي أن سبب ذلك هو تصريح صحفي لوليد جنبلاط يطاله فيه شخصياً . فقلت له : وأين المشكلة ، فأنت لا تبالي بكل هذه الأمور؟» واجابني : «أنت لا تفهم الأمر ، فان كان هناك مساحة متر مربع في لبنان لا يستطيع أن يصلها رينه معوض بأمان فهذا يعني أن لبنان لم يحقق الوفاق الوطني وأن الحرب لم تنته . »

لقد انتظمت كل حركة عقله وجسده على الدستور والوفاق الوطني وميثاق الاستقلال الوطني اللبناني . وإذا ما طرأ عطل ما على هذه الأمور فكأنما يضيء على الفور ضوء إنذار أحمر في رأسه ، ولا يؤاتيه النوم قبل أن يسعى الى حل الأمور في حينها كي ينطفئ الضوء الأحمر .

وقد حفظ عن ظهر قلب تاريخ العائلات والمناطق اللبنانية ، وعرف تقريباً جميع الموظفين بأسمائهم في مختلف الوزارات ومن مختلف الفئات ، كما عرف غالبية القطاع الخاص من المدارس الى الجامعات الى جميع المؤسسات الاقتصادية والمصرفية ، وكانت تربطه علاقة شخصية بغالبية رؤساء الطوائف الدينية على اختلافها من بطاركة ومفتين الى مطارنة ورؤساء رهبانيات وكهنة وراهبات ومشايخ وأسياد من كل الطوائف المتعايشة في لبنان . وأخيراً لقد عرف لبنان بمختلف أبنائه بتفاصيله الدقيقة كما كان معروفاً شخصياً من الجميع . يخاطب الجميع من مختلف المستويات الاجتماعية باللياقة والاحترام نفسهما ، إذ رأى أن جرح كرامة الآخرين هو من باب الجبن ، اما احترامها فهو من باب الشجاعة والفروسية .

كان برلمانياً من الدرجة الأولى ، ذا إيمان عميق بالديموقراطية وبالقيم الانسانية ، يؤمن بالمنافسة الحرة في مختلف مجالات الحياة .

لقب بملك الحوار السياسي، إذ كان هو من أبدع ظاهرة المراسيم الرئاسية الجوالة التي كانت تتنقل بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء في أواخر الثمانينات وذلك منعاً لانهيار الدولة عندما كانت الحكومة منقسمة على نفسها، وأركان السلطة متمترسين، كل وراء موقعه.

ولا شك أن حلمه الدائم كان الوصول الى سدة الرئاسة في الدولة اللبنانية، يحدوه إيمان ذاتي بأنه قادر على الاضطلاع بهذه المهمة المقدسة لأنه استوعب وأدرك كل الأمور وخصوصاً انه كان مستعداً لتقديم كافة التضحيات الضرورية خدمة لمصلحة لبنان الوطنية. فراح يعمل بتكتم واحتراف لتحقيق حلمه، وقد لاحت أمامه منذ زمن أبعد ومرات عديدة فرصة الفوز بالرئاسة لكن رياح الحظ كانت تعاكسه، ومع كل ذلك عرف كيف يتحلى بالصبر وببرودة الاعصاب وبالايمان بالله، فلم يفقد أبداً الأمل رغم الصعوبات التي اعترضت طريقه.

ومن مواهب رينه معوض القدرة على الانصات، فلم يأنف أبداً من السعي الى التعلم كي يتوصل الى اكتشاف الحقيقة، ولم يخجل من الاجابة عن بعض الاسئلة بـ«لا أعرف»، كما كان يستقي معلوماته من مصادر متعددة لدى مختلف الأطراف، لدى حصول نزاع أو حادث ما، حتى يتوصل الى تكوين حكمه الخاص، إذ كان يعلم أن كل طرف، ونظراً لضعف الطبيعة البشرية، يروي الأحداث بما يخدم مصالحه. اما هو فقدم مصلحة الدولة على ما عنده من مصالح شخصية طبعاً، ولم يرتضِ أبداً أن تتحقق هذه المصالح على حساب الدولة او المجتمع.

وعندما ألمس في أيامنا هذه كيف يخرق الدستور وتنتهك القوانين وتستباح المؤسسات، أردد بيني وبين نفسي، لحسن الحظ ان رينه معوض ليس على قيد الحياة كيلا يعيش المأساة التي نعانيها في أيامنا، فرجالات مثله ومثل الياس سركيس ورشيد كرامي ما كانوا ليوافقوا على مثل هذه الخروقات التي تطال الدستور ولكانوا عانوا كثيراً وماتوا ألف مرة لرؤية مأساة هذه الأيام.

كان رينه معوض يستيقظ عند الخامسة صباحاً، فيستمع الى معظم نشرات الانباء عبر جميع الاذاعات، وباللغتين العربية والفرنسية، ثم يقرأ الصحف اللبنانية والأجنبية، وفي الساعة السابعة يصل حلاقه الأمين شكري الحمصي

ليحلق ذقنه. بعدها يتصل بالهاتف باصدقائه في أنحاء العالم ليتسقط الأخبار، وهم يشكلون شبكة من رجالات السياسة والأعمال، من لبنانيين وعرب وأجانب. وهكذا يكون قد قام بجولة أفق في السياسة اللبنانية والدولية قبل ان يغادر منزله كل صباح، فتصبح في حوزته جميع الانباء الداخلية منها والخارجية، حتى ليكوّن من ذاته شبكة معلومات هائلة محلية ودولية، وهو على درجة من الموهبة والعبقرية والقدرة على التحليل مكنته من تكوين حكمه الخاص في مختلف المعلومات والأحداث التي يتلقاها فيأخذ منها ما هو واقعي ومنطقي ويهمل ما سوى ذلك، وهكذا تتوفر له المعطيات السليمة لبناء الموقف السليم.

أذكر احدى الامسيات من العام ١٩٨٠، تناولنا فيها طعام العشاء في منزله في الحازمية، وكالعادة كان هناك رجال سياسة وأعمال، ولم تكن كل تلك المآدب، غداء وعشاء، تخلو من لمسة السيدة نائلة معوض التي كانت تستقبل الناس بأبهة وعلى وجهها تلك الابتسامة العريضة، ومن ضمنهم الحساد والمغرضون.

وكانت قد راجت في تلك الفترة شائعات كثيرة حول مرض الرئيس السوري حافظ الأسد، وبعد العشاء تركنا الطاولة لشرب القهوة في الصالون، فجلس هو في كنبته، وعلى جاري عادته في تلك الساعة، أسند رأسه الى يده اليمنى يغط في نوم خفيف لمدة خمس دقائق تقريباً. ودار النقاش في تلك الأمسية حول سوريا ومراكز القوة في الحكم السوري، وراح كل يعرض نظريته واتفق الجميع تقريباً على أن هناك ثلاث مراكز قوى في سوريا لكنهم اختلفوا حول الأقوى والأكثر فعالية بينها. وكان النقاش بدأ يحتد عندما استفاق رينه من غفوته وقال لنا: «انتم على حق تماماً، فهناك ثلاث مراكز قوة في سوريا.» فسكت الجميع منصتين يريدون معرفة وجهة نظره في الموضوع، فتابع: «وهذه المراكز هي: حافظ الأسد وحافظ الأسد وحافظ الأسد.» هكذا أقفل النقاش في تلك الليلة وغادر الكل الى النوم.

عندما كان أي رئيس يريد إبلاغ رسالة سياسية الى شخص ما، ويريد أن تكون هذه الرسالة واضحة ومفهومة، كان يستعين برينه معوض. وإذا ما احتاج رئيس آخر أو زعيم سياسي الى إجراء مفاوضات سرية أوابلاغ رسائل سرية، لم يكن يجد سوى رينه بك الذي يصون السر كالبئر العميق. وما من أحد في العالم كان

بإمكانه أن يجعله يفشي سراً حتى على قطع رأسه. لم يخن أبداً ثقة الآخرين فيه، وكان يشكل صلة الوصل الموثوقة بين جميع أصدقائه. وحتى أعداؤه احترموه لأنه تصرف دائماً كسيد ولم يلجأ أبداً الى المواقف الجبانة بحقهم.

وكلما برزت قضية يفترض الدفاع عنها أو مفاوضات يجب اجراؤها، سواء في المجالات السياسية أم الاجتماعية أم الاقتصادية، فانه كان المدافع والمفاوض الأمثل. وهو بالتالي، كونه محامياً ممارساً وزعيماً سياسياً، حفظ القوانين واختبر نفسيات الناس الذين يتعاملون معه، كما تمتع بنفس طويل وبصبر كبير، يسيطر على أعصابه ويتحكم بفكره إنما ليس بعاطفته، مما جعل النائب نصري المعلوف يقول فيه انه قادر على حفر الجبل بإبرة. خاض معركته اليومية مع الحياة حتى اليوم الأخير بالشجاعة نفسها رافضاً الاستسلام. في كتابه «السلام المفقود» كتب كريم بقرادوني أن رينه معوض هو «أيوب السياسة اللبنانية»، كما ذكر أن الرئيس الياس سركيس قال أن معوض هو ميزان السياسة في لبنان! أما أنا فأعتقد أنه كان بنوع خاص صمام الأمان للدستور وللميثاق الوطني اللبناني، وكان يمثل الصورة الحقيقية للبنان الحقيقي.

أما خصومه، وقد ندروا، فقد قالوا فيه انه بخيل ومتذبذب ويخاف أحياناً. وهؤلاء الأشخاص هم اليوم يعضون أصابعهم ندماً في أيامنا هذه وهم يؤكدون أنه كان ذا مروءة نادرة وقلب محب كبير بعد القرارات الفائقة الشجاعة التي اتخذها حيث كان يجب أن يتخذها خدمة للمصلحة الوطنية وليس لمصالحه الشخصية. أما القول بافتقاده الشجاعة فموضوع ساقط لأنه كان يواجه الموت مبتسماً، عندما يدرك تماماً أنه يسلك الطريق القويم، وقد ثبت ذلك في ظروف استشهاده فيما بعد.

كان رجل الحكمة الذي استبعده مجتمع الحرب والميليشيات في زمن العنف، حين لا يكون للحكماء كلمة، ليأتي الأسف لعدم سماع كلامهم عندما تنتهي الحرب أو عندما يتبين أن لا طائل تحتها. هذا ما كان عليه وضع رينه معوض خلال مختلف فترات الحرب الأهلية في لبنان، وقد استنكر ما شهده فيها من أعمال عنف ومظالم.

من جهة أخرى رأى رينه معوض أن الطبع اللبناني السريع التكيف هو معوق

اجتماعي كبير. فاللبنانيون كانوا يتكيفون مع المشاكل الناشئة ولا يثورون، تقبلوا المظالم والمعاناة دون التفكير في الثورة، بل انهم بالعكس كانوا يجدون الحلول في تكيفهم مع مختلف الأوضاع المأساوية.

في العام ١٩٨٢، وصل الجيش الاسرائيلي في اجتياحه لبنان الى بيروت. كان رينه معوض على الدوام معادياً لاسرائيل، ولذلك شعر بالحزن وهو يرى الجنود الاسرائيليين على بعد خطوات من منزله في الحازمية، كما كان ينزعج بشدة لرؤية الفلسطينيين يدمرون لبنان مما جعله يقاتلهم في زغرتا! وهو، العروبي مذ كان، ربطته علاقات صداقة ومعرفة بجميع الدول العربية دون استثناء. فقد عرف شخصياً غالبية الرؤساء والملوك العرب. زار هذه الدول في مهمات رسمية أو بصفة خاصة مئات المرات خلال حقبة عمله في السياسة التي تمتد تحديداً الى أربعين عاماً كنائب ووزير. ومن أهمها زيارته الرئيس جمال عبد الناصر مرتين موفداً بمهمة رسمية من الرئيس فؤاد شهاب، والثانية موفداً من الرئيس سركيس الى إثني عشر دولة عربية من أجل التحضير للقمة العربية العاشرة في تونس في العام ١٩٧٧.

رفض كل الافكار القائلة، خلال الحرب اللبنانية، بالتقسيم أو بانشاء دولة مسيحية في لبنان، فهو رأى أن لبنان هو طائر بجناحين، احدهما مسيحي والآخر اسلامي، ولكي يستطيع التحليق هو دائماً بحاجة الى هذين الجناحين.

خلال الحصار الاسرائيلي على بيروت الغربية في العام ١٩٨٢، كان رينه معوض يصر على مغادرة منزله في الحازمية يومياً لينتقل الى غرب بيروت يمضي نهاره هناك ويعود في المساء، يملأ صندوق سيارته بربطات الخبز وأحياناً قوارير الغاز ويعبر خطوط التماس تحت القذائف، يزور هناك العديد من أصدقائه متنقلاً من منزل الى آخر موزعاً هذا الخبز الذي لم يكن غالي الثمن في الشرقية لكنه كان كالعملة النادرة في المنطقة الغربية بسبب الحصار. وحتى وإن لم يكن هذا التصرف النبيل ذا قيمة مادية الا أنه ينم عن إيمانه بالتواصل والتضامن والمحبة. لم يخف القذائف ولا الميليشيات، إنما هو يخاف ضميره. وقد استأت من تصرفه هذا عندما رأيت أنه يعرض نفسه للخطر يومياً. وفي الصباح الباكر من احد الأيام كنت أشرب معه القهوة، كان القصف شديداً وهو على اهبة المغادرة

الى بيروت، فسألته: «لماذا تكلف نفسك هذا العناء؟ وما الذي يجبرك على القيام بذلك؟

كان تصرفه بالنسبة الي نوعاً من تعذيب الذات، فأجابني ببعض العصبية أن ضميره كمواطن لبناني هو الذي يحمله على عيش ومشاركة مواطنيه في ما يعانونه، ثم صرح لي انه إن كان عاجزاً عن مواجهة الجيش الاسرائيلي فيبقى قادراً على التعبير عن تضامنه مع اللبنانيين المحاصرين.

في اواخر شهر آب من العام ١٩٨٢، كانت التحضيرات تجري للانتخابات الرئاسية، والمرشح الوحيد الوافر الحظ بحكم الأمر الواقع كان بشير الجميل، وهو عدو له بسبب ارتكابه مجزرة اهدن التي يتحمل فيها المسؤولية الأولى. أراد النواب الموارنة الثمانية والعشرون التصويت لبشير الجميل، ولم ينقص سوى رينه معوض. كان الرئيس سركيس قد نصحه بانتخاب بشير كما ان الموفد الرئاسي الأميركي فيليب حبيب اجتمع برينه معوض مرات عديدة وألح عليه كي يصوت لبشير الجميل الذي حظي علناً بدعم الأميركيين والاسرائيليين.

ناهيك عن مجزرة اهدن كسبب لرفضه التصويت لبشير الجميل، لم يكن رينه معوض يحب الميليشيات وقد خشي ان يعمد هذا الأخير الى إقامة نظام ديكتاتورية عسكرية عبر الميليشيات. لكن كان عليه أن يفكر، وهو الانسان الواقعي، في مستقبله السياسي، وخصوصاً في مستقبل البلاد، إذ تخوف جدياً من خطورة الفراغ الدستوري في حال عدم انتخاب رئيس للجمهورية، وربما اعتبر أن السلام قد يضع حداً للحرب. وقبل الانتخابات الرئاسية بيوم واحد اجتمع ببشير الجميل في منزل المهندس بيار خوري في اليرزة. لقد أراد أن يسمع بنفسه في خلوته مع الجميل ومن فمه مباشرة تطمينات أكيدة حول مشروعه المستقبلي للبنان. عندها اكد له بشير الجميل أنه يريد حكم لبنان الموحد بمساحته البالغة ١٠٤٥٢ كيلومتراً مربعاً رافضاً بشكل جازم كل الافكار التقسيمية، وأنه يريد أن يحكم عبر مؤسسات الدولة الرسمية والشرعية وان مهمة الميليشيات الحربية قد انتهت وسوف يلحق عناصرها بالقطاعين العام والخاص، وأنه اتخذ قراراً حاسماً بعقد السلام مع جميع أعدائه وعلى رأسهم الرئيس سليمان فرنجية. ومما قاله له انه مستعد ليستقل طائرة هليكوبتر لزيارته في

اهدن، فيضع نفسه بين يديه على الطريقة العشائرية العربية. واخيراً أبلغه أنه يريد منه أن يتولى وزارة الخارجية في حكومته الأولى. وهكذا اقتنع النائب رينه معوض وصوت لبشير الجميل، لكنه بدا متضايقاً وحزيناً في ذلك النهار. في تلك الفترة ساوره القلق وفقد الروح المرحة وغلبت عليه النظرة السوداوية الى الأمور.

في ١٢ أيلول عام ١٩٨٢، حضر الرئيس المنتخب بشير الجميل في زيارة شكر له في منزله في الحازمية، وعندما قرع الباب فتحت بنفسي الباب وكنت أرتدي بذلة الضباط العسكرية، فأدى لي الرئيس الجميل التحية العسكرية بشكل رسمي قائلاً: «احتراماتي حضرة الملازم الأول!» ثم تابع موجهاً الكلام الى رينه بك مشيراً صوبي باصبعه: «بهذه البذلة سوف احكم.» دام اللقاء حوالى أربعين دقيقة وقد حضره أيضاً الملازم الأول عصام حداد. فقد حضر الرئيس المنتخب وحده بدون مواكبة ولا مستشارين. كان يتكلم باندفاع وثقة، يمشي بسرعة ويعلن عن نواياه محلقاً بخياله. رأى الطريق أمامه واضحا جداً وكأنه كان يندفع نحو مصيره. اراد أن يتعلق ببصيص الأمل قبل ان يتلاشى في الآفاق. بدا فعلاً متحمساً ومستعجلاً الأمور جداً، لديه عن كل سؤال جواب حاضر وفي صوته نوع من السحر والفتنة. تميز بموهبة إقناع الناس وطمأنتهم خصوصاً بعد انتخابه رئيساً للبنان، وقد كان قادراً على التأثير حتى في أعدائه إذا ما قبلوا بمواجهته.

بعد مغادرة الرئيس بشير الجميل جلس رينه معوض في كنبته دون أن يتفوه بكلمة كأنما هو غرق في التفكير او في حلم او في التأمل. وقد سألته قاطعاً عليه استرساله في التأمل: فيمَ أنت تفكر؟

تردد قليلاً قبل أن يجيبني: «لقد كان بشير الجميل صادقاً وصريحاً حين أعلن عن رغبته في إقامة السلام مع جميع أعدائه في الداخل أم في الخارج، لكنني أخشى ألا يكون لديه الوقت الكافي ليحقق ذلك سريعاً لأن لديه الكثير من الأعداء.»

وبعد يومين، في ١٤ أيلول، اغتيل الرئيس الجميل بانفجار في بيت الكتائب، في حصنه في الأشرفية، وبذلك تلاشى، سريعاً مثل البرق، حلم تحقق، هو من المثالية بحيث بدا من المستحيل أن يتحول واقعاً، وبعد يومين من

عملية الاغتيال اجتمع البرلمان لينتخب امين الجميل، شقيق بشير. صوت رينه معوض لأمين بدون كبير حماس لأنه كان يعلم أن ليس له هو أي دور يلعبه معه لأنه لم تربطه به علاقة متينة. ومع ذلك توطدت الصداقة بينهما فيما بعد وتبادلا الاحترام خصوصاً في أواخر عهده.

كان رينه معوض ديبلوماسياً ماهراً كما كان يتمتع بذكاء حاد عرفه فيه أصدقاؤه وقدّروه. كان النائب الأكثر أناقة في البرلمان، بارع العناية بمظهره يرتدي اجمل البدل الرسمية ويختار اجمل ربطات العنق من آخر موضة. وحتى في الثياب العادية كان الأكثر كياسة، يعرف كيف يوفق بين الألوان بانسجام تام تماماً كما كان يفعل في عمله السياسي. ربطته الصداقات بجميع السفارات العربية والأوروبية والأميركية، وقد أراد دائماً أن يبرهن لهم أن لبنان هو بلد الثقافة والحضارة ويستطيع ان يلعب دور صلة الوصل بين الشرق والغرب. وقد طالب هذه السفارات دائماً بدعم الحريات والقيم الانسانية في لبنان على أساس أن فيه النظام الديموقراطي الوحيد في العالم العربي. وكلما وصل سفير جديد الى لبنان كان رينه معوض وزوجته يدعوانه مع عيلته وأعضاء السفارة لزيارتهم في زغرتا او في اهدن، فيرافقانهم في جولة استطلاع في جبال شمال لبنان، انطلاقاً من اهدن الى وادي دير قزحيا حيث كنيسة القديس انطونيوس التي تعود الى العام ١٦٠٣ انتهاءاً بوادي قنوبين المقدس حيث أقدم صومعة مارونية تعود الى العام ١٣٠٠، دون نسيان زيارة الارز ومتحف جبران خليل جبران. اما أنا شخصياً فلم اكن أفهم لماذا يدعوهم دائماً ولماذا يتحمل هذا العبء مكرراً في كل مرة السيرة نفسها. فسألته في إحدى الامسيات: «لماذا تدعو دائما سفراء أجانب؟ ما أطول نفسك وقدرتك الرهيبة على تكرار المعزوفة نفسها؟ فأجابني: «إنها الطريقة الفضلى لنطلعهم على حضارتنا وتاريخنا، كما على جذورنا وإرثنا الثقافي. هكذا يفهموننا أكثر فيتمكنون من مساعدتنا بشكل أفضل. يجب أن نبرهن لهم أننا شعب يتعلق بثقافته وبحضارته.»

في الأول من حزيران من العام ١٩٨٧ مني رينه معوض بخسارة كبرى عند اغتيال رشيد كرامي، وهو بالنسبة اليه بمثابة الصديق والأخ. كانت تربطه بالرئيس كرامي صداقة واخوة فريدتان. قامت العلاقة فيما بينهما على احترام ولياقة لا

مثيل لهما. كان واحدهما يفهم الآخر من نظرة أو من حركة، كأنهما ليسا بحاجة للكلام كي يتفاهما. وعندما تذكر اسم رشيد كرامي أمام رينه ترى فوراً أماراته أشرقت بالبهجة والفرح، وإذا جلس رشيد كرامي على كنبة أو كرسي الى جانب رينه معوض تتبين على وجهيهما، وأنت تنظر اليهما، مظاهر الغبطة والسعادة. وفي اليوم المشؤوم الذي اغتيل فيه الرئيس كرامي قصدت رينه معوض في منزله في الحازمية كي ابقى برفقته وأهدأه على اثر تلك الحادثة مباشرة. ولدى وصولي صب علي جام غضبه في فورة لم يسبق لي ان رأيته فيها. ربما اراد خنقي على الفور وقد ارتعبت فعلاً لرؤيته على تلك الحال. ومما قاله لي: «لقد قتلتم رشيد كرامي، الجيش قتل رشيد كرامي، لقد اولاكم ثقته واحب الجيش وقد قتلتموه. انتهى لبنان ولم يعد هناك استقلال، لم يعد هناك بلد.» خفت على صحته وخشيت أن يصاب بذبحة قلبية وهو في تلك الحالة العصبية التي ترفع من ضغطه. تحملت شتائمه كلها دون أن أرد بكلمة محاولاً ان أقول له أن هذه مشيئة القدر الذي لا يستطيع انسان أن يغيره. كان قد التقى الرئيس كرامي قبل يومين من مصرعه، وكان يعلم تماماً ان هناك مشروع مصالحة بين الرئيس كرامي والرئيسين أمين الجميل وكميل شمعون، ينتج عنه إعادة توحيد الحكم وفتح صفحة سلام ومصالحة جديدة في البلاد. وباغتيال الرئيس كرامي لم يبصر هذا المشروع النور.

نصل الى العام ١٩٨٨، حين ساد البلاد جو من القلق خوفاً من عدم التمكن من إجراء الانتخابات الرئاسية وتأمين استمرارية الدولة. بالطبع ان رينه معوض كان يفكر في الرئاسة لنفسه، لكنه كان يعي العقبات العديدة التي تعترض وصوله الى سدة الرئاسة. فالرئيس سليمان فرنجية أعلن ترشيحه لكن نصاب المجلس النيابي لم يكتمل لعقد جلسة الانتخاب في ١٧ آب ١٩٨٨. حضر رينه معوض الجلسة بالرغم من حصار القوات اللبنانية التي منعت النواب المسيحيين في المنطقة الشرقية من الوصول الى قصر منصور، البرلمان المؤقت الذي كان قائماً في ساحة المتحف بالقرب من المحكمة العسكرية. فقد غادر في ساعة متأخرة من الليلة السابقة وقصد احد الأصدقاء في المنطقة الغربية وامضى الليل عنده، كي يتمكن من المشاركة في جلسة الانتخاب ويبادر الرئيس فرنجية بحركة

إيجابية . كما كان هناك العماد عون الذي يعمل على الرئاسة لنفسه ناهيك عن الرئيس أمين الجميل الذي كان يفكر في تجديد ولايته ، وصولاً بالأمور الى عنق الزجاجة مع عودة المبعوث الأميركي ريتشارد مورفي من سوريا معلناً اسم النائب مخايل الضاهر كمرشح وحيد للرئاسة تقبل به سوريا وإما تعم الفوضى البلاد . ومن المؤكد أن لائحة الاسماء الخمسة التي قدمها البطريرك مار نصر الله بطرس صفير الى السفير الأميركي جون كيلي قد تضمنت اسم رينه معوض .

في الاسابيع الأخيرة من عهد الرئيس امين الجميل كنت التقي رينه بك يومياً ، صباحاً ومساءاً . وفي احدى الامسيات طلب الي تأمل المشهد الحالي للموارنة الذين يسيطرون على الارض في المنطقة المسيحية . ثم أوضح لي ان هناك ثلاث قوى مارونية تتمثل بالرئيس امين الجميل والعماد ميشال عون والدكتور سمير جعجع . وقد رأى انه من المستغرب والمؤلم جداً ان كلاً منهم يكنّ عداءاً حاسماً للاثنين الآخرين ، وكل منهم يشد البساط في اتجاهه ، كل يريد ان يكون هو ركيزة السلطة او لا سلطة . ولم يتقبل واقع الكراهية بين الثلاثة بهذه الطريقة وأن تنعكس قراراتهم على مستقبل اللبنانيين بشكل عام والمسيحيين بنوع خاص .

في الأيام الأخيرة ، قبل انتهاء مدة الولاية الرئاسية اجتمع في بكفيا بالرئيس أمين الجميل الذي كان يفكر في تكليفه مهمة رئيس حكومة انتقالية تكون مهمتها تأمين اجراء الانتخابات الرئاسية واستمرارية الدولة في غياب رئيس للجمهورية . وغداة ذاك الاجتماع التقيته وعرفت أنه نصح الرئيس الجميل باعتماد ثلاثة حلول بحسب الأولويات . الأول هو الابقاء على الرئيس سليم الحص كرئيس للحكومة الانتقالية ، بكل بساطة ودون اي تغيير في الأمور . الثاني هو أن يعينه هو نفسه نائباً لرئيس الوزراء الى جانب الرئيس الحص . والثالث هو تعيين بيار حلو رئيساً للوزراء يكلف تأليف الحكومة الانتقالية . لقد رفض تولي المهمة مباشرة لأنه عرف أنه لن يكون قادراً على تشكيل الحكومة الانتقالية كما يريد ، أضف أنه لم يرغب في الدخول في خلاف مع الرئيس الجميل . وكان رينه معوض يدرك الصعوبات والعقبات التي سيضعها في وجهه كل من عون وجعجع . مع أنه كان يعتقد أنه لو ألف الحكومة الانتقالية بشكل متوازن لأمكنه إدارة الأمور بما يفضي الى انتخابه رئيساً للجمهورية في غضون بضعة أشهر .

في اليوم ما قبل الأخير من انتهاء الولاية ، الموافق في ٢٢ أيلول عام ١٩٨٨ ، قام الرئيس الجميل في الدقائق الأخيرة بزيارة خاطفة الى سوريا . وأثناء اجتماعه بالرئيس حافظ الأسد فاجأ قائد القوات اللبنانية سمير جعجع اللبنانيين والسوريين بزيارة خصمه العماد ميشال عون في اليرزة في مناورة لشد القوى والاتحاد ضد الرئيس أمين الجميل . وكانت الغاية من هذه الزيارة التي فاجأت الجميع البرهان على ان الرئيس الجميل لم يعد يملك شيئاً على الارض في المنطقة الشرقية ، وهكذا عندما علم الرئيس الأسد بالخبر أوقف الاجتماع مبلغاً الجميل أنه لا يستطيع القيام بأي مشروع معه نظراً الى التغير الحالي في الوضع في المنطقة المسيحية .

في مساء ٢٣ أيلول من العام ١٩٨٨ ، وهي الليلة الأخيرة من ولاية الجميل ، عين النائب بيار حلو رئيساً للحكومة وكلف تشكيل الحكومة الانتقالية . وكان هناك نوع من التفاهم بين الجميع على ان يعين فيها العماد عون والدكتور جعجع كلاهما وزراء ، وهو الشرط الذي وضعه بيار حلو للقبول بهذه المهمة ، لاقتناعه بأن أي حكومة لا تضمهما لن تكتب لها الحياة . وفي الوقت نفسه كان كل من سمير جعجع وميشال عون يتوق لأن يصبح وزيراً ، وعندما أجرى بيار حلو اتصالاته بالسياسيين لمس رفض الزعماء المسلمين في المنطقة الغربية المشاركة بسبب الضغط السوري عليهم وهو لم يقبل تشكيل حكومته بلون مسيحي صرف ، فاعتذر حوالى منتصف الليل . في هذا الوقت بدا عون وجعجع قلقين إذ اعتقدا ان هناك مؤامرة عليهما كي لا يعينا وزيرين . وهكذا حضر لدى منتصف الليل جميع رؤساء الأحزاب المسيحية ومختلف مستشاري الرئيس الجميل الى القصر الرئاسي بعد اعتذار بيار حلو . والسؤال المطروح علناً بين الجميع كان : «الآن وقد اعتذر حلو ماذا يمكن ان نفعل؟» وبعد صمت قصير بدا وكأنه دهر ، أطلق رئيس حزب الوطنيين الأحرار داني شمعون وبصوت عال فكرة إيكال المهمة الى المجلس العسكري في الجيش اللبناني . فساد من جديد صمت قطعه الرئيس الجميل لدى استدعائه مدير عام غرفة رئاسة الجمهورية طالباً اليه أن يعد المراسيم الجمهورية لتشكيل الحكومة الانتقالية ، كي يوقعها ، كان ذلك حوالى الساعة الثانية من صباح ٢٤ أيلول عام ١٩٨٨ .

ففي خطوة فاجأت اللبنانيين وغير مفهومة حتى الان عين الرئيس الجميل خصمه العماد عون على رأس حكومة مؤقتة مؤلفة من أعضاء المجلس العسكري في الجيش اللبناني.

لدى خروجه من القصر الجمهوري إثر تعيينه رئيساً للوزراء اعتبر العماد ميشال عون في حديثه الى الصحافيين أن تعيينه هو بمثابة كرة نار رماها بين يديه الرئيس الجميل، وكأنه أراد أن يفهم اللبنانيين أنه تلقى هدية مسمومة.

وبعد خمس دقائق ومن المكان نفسه صرح الدكتور سمير جعجع للصحافيين أنه لن يقع في الفخ المنصوب للقوات اللبنانية وأنه تفاهم مع العماد عون على التكاتف وتناسي الخلافات.

وكانت راجت شائعات أن مجموعات من الجيش اللبناني تطوق القصر الجمهوري وان الرئيس أمين الجميل اضطر تحت الترهيب والخوف الى تسمية العماد عون رئيساً للوزراء. غير أنها ظلت مجرد شائعات لأن الرئيس الجميل ليس من النوع الذي يخاف أو الذي يمكن ترهيبه أو ابتزازه، بل أنه هو الذي كان يهابه الجميع. واعتقادي أنه شعر بأن الجميع يرفضون التعاون معه وانه ترك وحده يتحمل مسؤولية الفشل في تأمين انتقال طبيعي للحكم. فلم يبقَ أمامه الا ان يرمي ما أسماه العماد عون «كرة النار» كردة فعل في صراع البقاء والدفاع عن الذات. أضف أن الجيش كان المؤسسة الوحيدة الشرعية التي تضم جميع الطوائف اللبنانية والتي من مهماتها حماية الدستور.

وللأسف أنه كان خياراً خاطئاً انتحارياً. فبعد يومين قرر عون وجعجع إبعاد الرئيس الجميل عن البلاد، وهو عمل صدر عنهما يخلو من النبل والكبر. ثم مع تولي العماد عون الحكم ومسارعته الى إعلان حرب التحرير على سوريا، في الأسبوع الأول من تشرين الأول عام ١٩٨٨، عاد القصف بمختلف العيارات وعلى أشد ما يكون من عنف وتدمير.

وحرب التحرير هذه ضد سوريا لم تقترن بعمليات تحضير عسكرية واقتصادية ولا بتوفير الوسائل الداخلية والخارجية التي يمكن ان تؤمن نجاحها، اللهم هذا الفولكلور الشعبي اللبناني الذي كان يجري في محيط القصر الرئاسي في بعبدا.

سرعان ما فهم رينه معوض أن العماد عون يريد عرقلة إجراء الانتخابات

الرئاسية إذا لم تفض الى انتخابه هو رئيساً، وكان يعرف العماد عون شخصياً منذ أن كان برتبة عقيد ثم قائداً للواء الثامن في الجيش اللبناني، وانا من دبر لقاء التعارف بينهما بناء على طلب عون الذي كان يمثل بالنسبة الي رمزاً عسكرياً وكنت أتمنى أن يتولى يوماً قيادة الجيش.

ولأنه ما كان ليفقد عزمه أبداً، اختار رينه معوض العمل على محور آخر أكثر هدوءاً ويتطلب نفساً طويلاً، فعقد سلسلة من الاجتماعات لوضع مشاريع سلام ومصالحة وطنية مع النواب المسيحيين والمسلمين، كما مع البطريرك الماروني مار نصرالله بطرس صفير. والصديق الصدوق، والوطني الكبير الذي شاركه وآزره في ذلك ومد له يد المساعدة بكل جوارحه كان الرئيس حسين الحسيني، عراب اتفاق الطائف. فقد نشأت بين الرجلين علاقة محبة واحترام وتفاهم، وجمعتهما نظرة واحدة في القضايا الوطنية ورأي واحد في سبل حل الأزمة، وتحليا معا بالصبر والنفس الطويل والقدرة على العمل الدؤوب لتحقيق حلمهما في إنقاذ الوطن.

وهكذا بدأت مسيرة من الجولات الجغرافية والسياسية قام بها رينه معوض دون كلل مروراً بزغرتا أو اهدن وبعلبك وبيروت وبكركي وطرابلس والشام والسعودية وباريس وبالعكس. لقد قطع مئات الآلاف من الكيلومترات جواً وبراً دون ان يشكو بأي شكل من التعب.

في كانون الأول عام ١٩٨٨ نقلت من مديرية المخابرات لأوضع في تصرف قيادة الجيش. صرت بلا عمل ولا مكتب، فاشتريت مكتباً مدنياً صغيراً تبلغ مساحته حوالى عشرين متراً مربعاً يقع في الحازمية في سنتر غالب، ورحت امضي فيه نهاراتي أطالع الصحف، لأنني كنت أشعر بالخجل من البقاء في المنزل لا آتي عملاً تحت أنظار زوجتي وأولادي.

لم يمض أسبوعان على ذلك حتى طوقت فرقة من الشرطة العسكرية بقيادة ضابطين، في منتصف إحدى الليالي، المبنى الذي يقع فيه مكتبي، ، بناء على أوامر من العماد عون. واتصل بي أحد الضابطين على الهاتف في منزلي طالباً الي الحضور لفتح الباب والا اضطر الى خلعه والدخول بالقوة. هرعت الى المكان وفتحت لهم الباب. فتشوا بكل دقة العشرين متراً مربعاً التي لا تحوي سوى

المكتب وبضع كراسي. وعندما انهوا عملية التفتيش سألت أحد الضابطين عما يفتشون أو ماذا ظنوا أنهم سيجدون، فأجابني أنهم يفتشون عن مركز تنصت متطور جداً قادر على التقاط مكالمات العماد عون. في اليوم التالي استدعتني الشرطة العسكرية كي تحقق معي مجدداً حول مركز التنصت هذا على انه يشكل جزءاً من شبكة تجسس سرية على عون. لم يكن الضابط الذي استجوبني مقتنعاً أبداً بهذه القضية إنما كان عليه ان يسألني كي يسألني.

وإضافة الى ذلك فان العسكريين الأربعة المولجين حمايتي والذين كان مدير المخابرات الكولونيل عامر شهاب قد وضعهم في تصرفي، تلقوا أمراً بتركي والالتحاق بوزارة الدفاع. وكانت قيادة الجيش قد كلفتهم هذه المهمة لأن حياتي كانت في خطر إذ كنت أعمل في مجال المخابرات ضد الارهاب، وقد استدعوهم كي يجعلوا مني هدفاً سهلاً، فاضطررت دون اقتناع أن أضع مكانهم حوالى عشرة شبان من آل معوض كي يؤمنوا حمايتي.

لم يحب رينه معوض الطريقة التي عاملني بها الجيش، فطلب على الفور موعداً مع عون ليفهمه أن الجميع يعلم أن الرائد طنوس معوض كان على الدوام مخلصاً للجيش ولمؤسساته وأنه كان على الدوام خاضعاً لقوانين وأوامر الشرعية، أضف أنه يجب ألا ننسى أنه واحد من عائلة معوض الزغرتاوية، وهم يحبونه ويحترمونه ومستعدون للدفاع عنه ضد أي ظلامة تلحق به.

في ربيع العام ١٩٨٩ كان القصف على أشده في بيروت، فلجأ الناس الى الجبال هرباً من القذائف. فاكتظت بلدتي (الثانية) اهدن باللبنانيين من مختلف المناطق اللبنانية الذين أرادوا الابتعاد عن أجواء الحرب. وهناك امضيت انا أيضاً فترة طويلة فتسنى لي أن التقي رينه معوض اكثر فأكثر. كان مستاءاً من حالة الحرب هذه التي بدا ان لا نهاية لها، وخشي كثيراً أن يتحول لبنان مع العماد عون الى ديكتاتورية عسكرية، كما كان يستشف وقوع المعركة الانتحارية بين الجيش والقوات اللبنانية.

هذه المسيرة الطويلة من الرحلات والاجتماعات المفتوحة والاتصالات اللبنانية والعربية والأوروبية والأميركية التي سلكها رينه معوض مع أصدقائه النواب والزعماء الروحيين والسياسيين، أسفر عنها في النهاية انعقاد مؤتمر

الطائف في المملكة العربية السعودية. وفي ايلول عام ١٩٨٩، وقبل أسبوع من سفره الى السعودية، باح لي، وعلى غير عادة منه، بأسراره كاشفاً لي كل اوراقه.

لقد كان واثقاً بان العام ١٩٩٠ سيشهد انعقاد مؤتمر للسلام في الشرق الأوسط بين الدول العربية واسرائيل، وقد تبلغ هذه المعلومة من فم نائب الرئيس الأميركي جورج بوش الذي كان التقاه مؤخراً في باريس. ورأى أنه من المفروض إعادة توحيد البلد بأي ثمن وتأمين إجراء الانتخابات الرئاسية كي يكون بمقدور لبنان ان يجلس الى طاولة المفاوضات عبر وفد رسمي لبناني يفاوض باسمه. والا فان طرفاً آخر سيتولى التفاوض عنا ويقرر مستقبل لبنان، وبذلك نخسر استقلالنا.

وقد أوضح لي أن مؤتمر الطائف اعد له الأميركيون والسعوديون لتحقيق المصالحة الوطنية وتوحيد البلاد بتغطية عربية وأن أحداً لن يستطيع الوقوف في وجه هذا المشروع. كما أكد لي انه الآن صاحب الحظ الأوفر للفوز برئاسة الجمهورية اللبنانية، حتى أنه طلب الي الاستعداد لهذا الحدث. كانت المرة الأولى التي يقول فيها ذلك بهذه الثقة لأنه عادة كان متكتماً وحذراً فلا يستبق الأحداث قبل وقوعها.

فسألته كيف سيحل مسألة الفيتو الذي يمكن ان يضعه الرئيس سليمان فرنجية في وجه انتخابه للرئاسة، فأجابني: «لا تشغل بالك، سيحل هذا الموضوع في حينه.»

على هذا الأساس فارقته متمنياً له التوفيق وعدت الى منزلي في بعبدا لأعيش تحت قذائف الـ٢٤٠ ملليمتر التي كانت تروع السكان. وفي ١٣ أيلول عام ١٩٨٩ اجتمع أعضاء اللجنة الثلاثية العربية وزراء خارجية السعودية والمغرب والجزائر، في جدة وأوكلوا الى الأخضر الابراهيمي، مساعد أمين عام جامعة الدول العربية، مهمة الحضور الى بيروت والاعداد للمؤتمر الذي سيعقده النواب اللبنانيون في مدينة الطائف في السعودية. وفي ١٤ أيلول، وصل الأخضر الابراهيمي الى بيروت وبدأ اجتماعاته الماراتونية مع جميع الكتل والزعماء السياسيين في لبنان. ومساء ٢٤ أيلول دعا العماد عون الى الاجتماع في بعبدا أربعة وعشرين نائباً كي يبلغهم أنه وافق على مبدأ الاجتماع في السعودية بعد

المفاوضات التي أجراها مع الابراهيمي، وفي ٢٦ أيلول غادر النواب الى السعودية عبر مطارات بيروت وقبرص وباريس.

بدأ مؤتمر الطائف أعماله في الأول من تشرين الأول، وقد استغرق ثلاثة وعشرين يوماً بدلاً من أن يدوم بضعة أيام.

في هذه المرحلة كنت اتصل هاتفياً بطريقة غير مباشرة مع رينه معوض وذلك عبر صديق مشترك لنا في باريس، هو سركيس شهيد معوض الذي كان يتصل به مرات عدة يومياً. فكما كان يسهل على رينه معوض اجتياز مئات الكيلومترات يومياً فانه كان يجري مئات الاتصالات الهاتفية يومياً وعبر العالم، وكان بيننا شيفرة مرمزة للاتصالات الهاتفية.

في ٢٤ تشرين الأول عام ١٩٨٩ وصل الى بيروت الأخضر الابراهيمي كي يدعو رسمياً العماد عون والرئيس الحص لحضور افتتاح الجلسة الختامية لمؤتمر الطائف التي سيحضرها الملك فهد في الطائف نفسها في السعودية. ولما فشل في اقناع العماد عون بالمشاركة عدل عن دعوة الرئيس الحص. ثم غادر النواب السعودية متوجهين الى المغرب والجزائر كي يشكروا الملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد على جهودهما، ثم توجه قسم كبير منهم الى باريس حيث نزلوا في فندق رويال مونسو.

في ٢٨ تشرين الأول عام ١٩٨٩ اتصل بي رينه معوض هاتفياً من باريس ليطلب الي صراحة مغادرة بعبدا الى اهدن. وأذكر أنني في ذلك اليوم التقيت صدفة داني شمعون في مناسبة اجتماعية في رومية - المتن، هي التعزية بالمرحوم طوني ابو حبيب (شقيق السفير عبد الله أبو حبيب) وقد قال لي علناً وأمام حوالى عشرين شخصاً أنه يؤيد صراحة اتفاق الطائف، وأنه آن الأوان كي نضع حداً للمأساة.

مساء ٢٨ تشرين الأول، غادرت منزلي في بعبدا، وقد سلمته الى النقيب غابي المعراوي إذ كان هناك نية لاحتلاله من جانب جماعة عون، وتوجهت الى اهدن وأنا شبه متأكد ان الأمر انتهى وأن رينه معوض سوف ينتخب رئيساً. وكان الرئيس سليمان فرنجية قد عاد قبل ثلاثة ايام الى زغرتا بعد زيارة لدمشق اجتمع خلالها بالرئيس حافظ الأسد. وقد مرر الى زواره المقربين ما مفاده أن الرئيس

الأسد أخبره أن الأميركيين والسعوديين عرضوا عليه لائحة من ثلاثة أسماء يرشحونها للرئاسة، وهم رينه معوض والياس الهراوي وجوني عبده. وروى الرئيس فرنجية أن الرئيس الأسد أكد له أن جوني عبده حليف الاسرائيليين وبشير الجميل وأنه لا يقبل به، وأن الهراوي هو رجل جوني عبده، ويجب استبعاده للسبب نفسه، فلم يبقَ الا رينه معوض الذي لم يكن حليفاً لسوريا لكنه وطني عروبي النزعة معاد لاسرائيل وقد رضي به تخفيفاً للأضرار.

في الأول من تشرين الثاني عام ١٩٨٩ حدد الرئيس حسين الحسيني الرابع من تشرين الثاني موعداً للانتخابات الرئاسية على أن تجري في قصر منصور في ساحة المتحف. وقد تغير هذا الموعد الى الخامس منه، كما تغير المكان وذلك عندما علم الرئيس الحسيني أن العماد عون قد أصدر أوامره الى الجيش بأن يمنع بالقوة انعقاد الجلسة البرلمانية.

في ٣ تشرين الثاني كان المستشار الاعلامي في البرلمان اللبناني، عبد الله معوض، برفقة بعض الحراس أمام منزل الرئيس الحسيني في عين التينة عندما اقترب منه مجهول يقول له أن شائعة سرت عن اغتيال النائب رينه معوض أمام فندق رويال مونسو في باريس، فأسرع عبد الله عند الرئيس الحسيني في الداخل ينقل اليه الخبر، فاتصل هذا الأخير بباريس وتأكد أن الخبر مجرد إشاعة، وقد انتشرت هذه الاشاعة فيما بعد على مجمل الأراضي اللبنانية.

طلب الرئيس الحسيني الى النواب اللبنانيين أن يجتمعوا عنده في عين التينة ليل الرابع من تشرين الأول للانتقال الى القليعات معاً في موكب واحد. وفي الثانية عشرة والنصف من تلك الليلة كان العدد الأكبر من النواب قد وصل الى منزل الرئيس الحسيني باستثناء أربعة هم رائف سمارة وحسين منصور وعبد المولى أمهز وعلي عبد الله. فاتصل بهم العقيد علي حمود، رئيس الاستخبارات السورية في بيروت بهدف الحضور. وعند الثالثة صباحاً اكتمل عقد النواب وغادر الموكب عين التينة في اتجاه القاعدة العسكرية في القليعات التي وصلوها حوالى الثامنة من صباح الخامس من تشرين الثاني.

فجر الخامس من تشرين الثاني، وفيما موكب النواب في طريقه الى القليعات، وقع العماد ميشال عون، بصفته رئيساً للحكومة المؤقتة التي تضطلع

بسلطات رئيس الجمهورية، مرسوماً جمهورياً بحل البرلمان اللبناني، وقد سمع النواب الخبر على الاذاعات في سياراتهم وهم في الطريق. وحوالى الثانية عشرة ظهراً وصل الى القاعدة العسكرية في القليعات الرئيس سليمان فرنجية يصحبه ابنه روبير وابنته صونيا الراسي ليدعو النواب الى تناول الغداء عنده في زغرتا. وبعد نصف ساعة وصل الرئيس عمر كرامي ليدعوهم الى الغداء في طرابلس لكن بما ان الرئيس الحسيني كان قد حدد موعد انعقاد الجلسة عند الثالثة بعد الظهر فقد بقي النواب في تلك النواحي بسبب ضيق الوقت المتبقي. وعند الساعة الرابعة حطت طائرتان من طيران الشرق الأوسط اللبنانية في القاعدة آتية من باريس حاملة من تبقى من النواب اللبنانيين. وكانت قد أعدت على وجه السرعة صالة كبيرة في القاعدة ليستخدمها البرلمان اللبناني بشكل مؤقت بعيداً عن قصف ميشال عون.

الولاية الخاطفة

اليوم الأول
الأحد ٥ تشرين الثاني ١٩٨٩

كان الخامس من تشرين الثاني يوم أحد صافي الطقس. اجتمع البرلمان اللبناني في قاعدة القليعات العسكرية فأقر وثيقة اتفاق الطائف التي أصبحت دستور لبنان الجديد، وأعاد انتخاب النائب حسين الحسيني رئيساً للمجلس النيابي والنائب ألبير مخيبر نائباً للرئيس. وعلى الفور أعلن الرئيس الحسيني افتتاح جلسة انتخاب رئيس للجمهورية، وقد انتهت عملية التصويت بانتخاب النائب رينه معوض رئيساً للجمهورية اللبنانية، في الدورة الثانية بعد تعذر حصوله على اكثرية الثلثين في الدورة الأولى، بعد أربعمائة وتسعة أيام من الفراغ الدستوري في سدة الرئاسة الأولى. وبذلك تحقق حلمي وحلم جميع آل معوض والقاعدة السياسية للرئيس معوض في الشمال وكل اللبنانيين الشرفاء والتواقين الى عودة السلام والاستقرار الى بلدهم. وقف الرئيس رينه معوض بكل ثقة أمام زملائه النواب ليقسم بالله العظيم ان يقوم بواجبه كاملاً وأن يصون دستور لبنان واستقلاله. ثم ألقى خطاب القسم الدستورية الذي كان قد أعده مع النائبين ادمون رزق ونصري المعلوف على متن الطائرة في رحلتهم من باريس الى القليعات. وكان مستشار الاعلام في البرلمان عبد الله معوض قد وضع عليه اللمسات الأخيرة في القاعدة أثناء الاعداد لعملية الاقتراع. في هذا الخطاب عرض، بدقة وتفصيل، برنامجه لتطبيق اتفاق الطائف بعد أن أصبح الدستور الجديد للبنان ووضعه موضع التنفيذ العملي كي يصار الى إعادة توحيد البلاد التي دمرتها الحرب وذلك على أساس إجراء مصالحة وطنية تنتهي بإعادة إحياء المؤسسات الرسمية والشرعية في لبنان. وفي ما يلي النص الكامل للخطاب:

دولة الرئيس،

حضرة النواب المحترمين،

الحمد لله على نعمة الوطن الذي وهبنا، وعلى منة اللقاء الذي اتاح لنا، وما أسبغ علينا من وفاق هو أساس البنيان، وجوهر الكيان، وعهد مقدس امام الشعب والتاريخ.

والتحية الى شعبنا الحبيب الذي عانى أشد الألم، وتكبد أفدح الخسائر، وظل صامداً عالي الجبهة أبيا، متمسكاً بأرضه وتراث أجداده، مدافعاً عن حريته وسيادته.

إنني أنحني بخشوع امام تضحيات شهداء الوطن الأبرار، ومن كل منطقة، ومن أي انتماء، وقد أدوا ضريبة الدم، وتركوا في القلوب جراحاً لا تندمل، وفي المآقي دموعاً لا تجف. أذكرهم اليوم جميعاً، واشعر بمقدار الخسارة التي مني بها لبنان في طاقاته البشرية، وأشارك في الحزن الذي أصاب كل بيت وعائلة.

ثم أتوجه بالشكر اليكم، أيها الاخوة النواب، على ثقة منحتموني، وأمانة أوكلتم إلي، وما كنت اجدر بها منكم، وقد شرفتني رفقتكم أعواما وأعزتني صداقتكم، ولن أنسى زمالة بيننا، وتضحيات جساماً قدمتموها، وشهادات أديتم، فكنتم، على امتداد المأساة، طليعة موكب الفداء، وجزءاً لا يتجزأ من ملحمة الصمود والبقاء.

والشكر العميق للإخوة العرب، ملوكاً ورؤساء، دولاً وشعوباً، وقد تحسسوا آلامنا وحدبوا على قضيتنا، وأطلقوا المبادرات، وبذلوا المساعي التي توجتها اللجنة الثلاثية العليا، في رعاية اجتماعات الطائف، وما تحقق لنا بفضلها من وفاق جسدته وثيقة سياسية متكاملة نعتبرها مدخلاً الى السلام الوطني، وإرساءً لقواعد الجمهورية الجديدة، جمهورية المؤسسات، والمشاركة المتكافئة في المسؤوليات وأصالة الانتماء العربي، وتأكيد الولاء للوطن الموحد القوي، والعزم على توطيد السيادة، وبسط سلطة الدولة الشرعية بقواتها الذاتية على كل ذرة من ترابها، او قطرة من مياهها، وعلى أي مدى من أجوائها، وذلك موقف أساسي غير قابل للجدل أو الشك.

إننا نعلن التزامنا بنود هذه الوثيقة التاريخية، وحرصنا على تنفيذها تحقيقاً

لعهد من المحبة والوئام والتقدم الاجتماعي، والانصهار الوطني والانفتاح الانساني. ونشكر من الصميم جميع الدول الصديقة، وفي طليعتها ذات العضوية الدائمة في مجلس الأمن الدولي، التي تفهمت واقعنا، وتعاطفت مع دعواتنا، وعبرت في شتى المناسبات عن دعمها لوحدة لبنان واستقلاله وحريته وسيادته وسلامة أراضيه، ضمن حدوده المعترف بها دولياً.

ونسجل بعرفان وتقدير، ما اعلنه الإخوة والاصدقاء، من استعداد لمساعدة لبنان في عهد السلام الآتي، على إعادة الإعمار، وتنفيذ مشاريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية والتغلب على آثار المحنة، وإطلاق مخططات النهضة.

حضرة النواب المحترمين،

لقد كنت دائماً وعرفتموني، في حياتي ومسلكي، رجل وفاق وتوفيق، اعمل لجمع الكلمة وتوحيد الصف، وأرفض التفريق. وأعتبر اليوم أن رهان عمري هو إنجاز المصالحة بين اللبنانيين، على اختلاف المشارب والاتجاهات. فالمصالحة الوطنية لا تستثني احداً، حتى ولا أولئك الذين يصرون على استثناء أنفسهم منها. المصالحة ملك الجميع وتتسع للجميع.

إني اوجه دعوة حارة ملحة الى كل اللبنانيين أينما كانوا للانضمام الى مسيرة السلام والبناء، تحت شعار الوفاق وتكافؤ الفرص والعدالة والمساواة.

أدعو جميع القادة والزعماء والفاعليات وأصحاب المواقع والمواقف، لأن يستوحوا مصلحة الوطن العليا، ويستلهموا ضمائرهم، فيضعوا أيديهم في يدي، وأكتافهم الى كتفي لأن الحصاد كثير، والفعلة قليلون مهما كثروا، وأبتهل من الأعماق الى رب الحصاد لكي يرسل فعلة لحصاده.

وليعلم كل واحد منا انه سيظل ناقصاً، إذا اصر على البقاء وحده، ورفض أخاه، وتنكر له، وأنكر عليه دوره في الخدمة. ففي صدر الوطن وأحضانه مكان للجميع، ونحن اليوم أحوج ما نكون الى دفء الوطن وفيئه في صقيع الزمن وصحراء التجربة.

إن الوطن بحاجة الينا. فلنضع حداً نهائياً للعنف والاقتتال. وليكف الجميع عن الاحتكام الى السلاح. ولنعد الى الكلمة السواء. فمن حق شعبنا ان يستعيد

فرح الحياة. ومن حق أطفالنا أن يولدوا في أجواء الأمن والحرية والسلام، وأن نعيش كلنا في هناء وصفاء.

أيها السادة النواب،

إن دور المؤسسات الدستورية والوطنية يأخذ أبعاداً متجددة في جمهوريتنا، وضمن إطار نظامنا الديموقراطي البرلماني الحر، الذي يلائم طبيعتنا، وينسجم مع الشخصية اللبنانية، وها نحن بعد خمسة عشر عاماً من القتل والتدمير، بحاجة الى التقاط أنفاسنا وجميع طاقاتنا، لفتح صفحة المستقبل. وسنعمد الى تأليف حكومة الوفاق الوطني، التي تضم العائلة اللبنانية، فتعيد وصل ما انقطع، وتوحيد ما تقسّم.

وإذ أشدد على أهمية الدور الذي ستضطلع به مؤسساتنا الأمنية من جيش وقوى امن داخلي وأمن عام، فاني استجيب لعاطفة متأصلة في نفسي، وأعلن ثقتي الكاملة بجيشنا اللبناني، مدرسة الشهامة والمناقب، المدافع عن الحق، الملتزم واجبه الوطني.

وبصفتي القائد الأعلى للقوات المسلحة، أوجه اليها جميعاً، قادة وضباطاً ورتباء وأفراداً، والى جميع الجنود الذين أقسموا يمين الولاء للوطن، والتقيد بإمرة السلطة الشرعية، ان يحافظوا على قداسة القسم وشرف الجندية. فهم حماة النظام ومسؤولون عن السلامة العامة ومشاركون أساسيون في صنع السلام.

إن القضايا المطروحة علينا كثيرة، والملفات متراكمة أمامنا. ونحن سنواجهها بما تقتضيه من تصميم وحزم، ونستعين عليها بفريق الحكم، وأهل الخبرة والاختصاص، معولين على أجيالنا الجديدة التي أصابها من أذى الحرب ما يتجاوز حدود الاحتمال، ونريد جميع أبنائنا أن يعرفوا مدى حاجة لبنان الى سواعدهم وعقولهم، فهم عدة الوطن للمستقبل. وليعلموا أننا أقرب اليهم مما يظنون، لأن تواصل الأبوة والبنوة هو سنة الحياة. ومن الخطأ النظر الى علاقة الآباء والبنين على أنها صراع وجود يحتمه اختلاف الأجيال.

إن الهموم اللبنانية أكثر من أن تحصى، واني لست هنا بصدد تعدادها. لكن ثمة أولويات لا بد من التركيز عليها. فالمسألة الأساسية هي جمع أجزاء الوطن،

جزءاً جزءاً، واستعادة السيادة عليها، وإحلال السلام فيها. واكثر ما يلح علينا في هذه المرحلة، إزالة الاحتلال عن الجنوب، بتنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي، لأن الإمعان في العدوان على حق الشعوب بالسيادة على أرضها، يتعارض مع أبسط قواعد القانون الدولي، ويتحدى المجتمع الانساني بأسره.

وفي هذا السياق، نحرص على توجيه الشكر والامتنان الى قوات الطوارئ الدولية التي تتولى مهمة حفظ السلام في الجنوب. ونعبّر عن وفائنا للدول الصديقة المشاركة فيها، وتقديرنا لما تبذله الأمانة العامة من جهود، تخفيفاً لوطأة الاحتلال، ومؤاساة لشعبنا على أرضه.

دولة الرئيس، حضرة النواب الكرام،

في عهد الوفاق الوطني المطل علينا، لنا موعد أكيد مع التضامن والتكافل الاجتماعي، القائم على الانماء والاصلاح تحقيقاً للمساواة بين المناطق، وضماناً لمستوى لائق في تقديمات الدولة وخدماتها.

أيها السادة،

إن علاقات لبنان الخارجية يجب أن تعود الى سابق صفائها. يجب أن تزول الأسباب التي عكرت بعضها، وأدت الى انقطاع بعضها. ويجب أن تعود بيروت مركزاً للمؤسسات الاقليمية والدولية، وللبعثات الدبلوماسية والممثليات العالمية.

ولا شك في أن تحسين العلاقات يبدأ بالأقربين، عنيت الأشقاء العرب، وخصوصاً الجمهورية العربية السورية، التي نؤمن أن بيننا وبينها من المصالح والأواصر ما يحتم تنظيم علاقاتنا المميزة، على أساس توطيد الثقة، والتعاون الصادق الواضح في شتى المجالات، وضمن إطار الحرص المتبادل على الكرامة والسيادة. وإني على يقين أن حسن النية، ونبل القصد، سيمكننا من بناء الغد الأفضل.

ايها السادة النواب،

لقد اديّت يمين المسؤولية، وسأؤدي واجبي كاملاً نحو وطني وشعبي ولن

تثنيني صعوبات عن متابعة مسيرة الخلاص. وإني اعاهدكم على أن لا اخلد الى الراحة، الا وقد قامت الجمهورية الجديدة، مكتملة الشروط والمواصفات، منيعة الجوانب، ثابتة الأركان، محاطة بدعم عربي اجتماعي، ودعم دولي كامل، يجب أن نكمّله بتعاوننا وتفاهمنا.

أعاهدكم بانني لن أسمح لنفسي بلحظة راحة الا وقد استتب الأمن اللبناني الشرعي في آخر بقعة من أرضنا، إلا وقد جمعت آخر قطعة سلاح خارج القوات المسلحة الشرعية، وتوقف أي تجاوز، وقمع أي ارتكاب، وأعيد كل حق الى نصابه، وردّ كل ملك الى أصحابه.

لن أرتاح الا وقد تمّ إعمار ما تهدم، وإسكان من هجّر، وإعادة من هاجر تحت وطأة الحاجة والضغط، التماساً لنجاة من خطر، او طلباً لرزق وراء البحار. لأنه إذا كان الانتشار الطوعي ميزة لبنانية وطابعاً حضارياً وإغناءً تراثياً، فان الهجرة القسرية، الى خارج الوطن، كالتهجير في داخله إهدار للطاقة وإذلال للآباء، وتسبب بالاعاقة في المضمار الانساني.

إن عهدي على نفسي أن أتعاون مع كل مخلص، دون تصنيف، لأجل أن ترتفع راية الأرز فوق كل القمم، ويسلم حق المواطن وكرامة الانسان، فتعود البسمة الى جميع الشفاه، ويملأ الفرح كل القلوب، وتعمّ البركة سائر العيال.

عند ذاك، وعند ذاك فقط، نشعر براحة الوجدان، ونستحق الثقة، وشرف لبنان.

عاش لبنان
حراً مستقلاً سيداً
لجميع اهله
الى الأبد».

وفي حوالى الساعة السابعة غادر الرئيس المنتخب القاعدة الجوية في القليعات بعد ان صافح فرداً فرداً جميع الموجودين من مهنئيه. توجه الرئيس المنتخب، برفقة النائب عبد الله الراسي، الى قصر الرئيس سليمان فرنجية في زغرتا ليخصه بزيارة مميزة أرادها أن تكون الأولى له كرئيس للجمهورية، حتى

قبل أن يصل الى دارته، وذلك في بادرة محبة واحترام تجاهه. وعلى الطريق مروراً بعكار وبطرابلس خصوصاً احتشدت الجموع لتحيته، وبوصوله الى زغرتا كان سليمان طوني فرنجية، الذي أرسل له على جناح السرعة سيارته المرسيدس الزيتية المصفحة، ينتظره عند جده، وهو كان من أكثر المتحمسين من آل فرنجية بتأييد انتخاب الرئيس معوض، وقد بدا سعيداً بهذا الحدث سيما وأنه بدا متأكداً من إمكان عقد تحالف وثيق مع الرئيس معوض، على غرار ما كان مع والده ومع جده من قبل، بالرغم من فرق العمر بينهما. تميزت الزيارة بالحرارة وقد بادر الرئيس المنتخب الرئيس فرنجية بالقول إنه جاء يأخذ بركته المهمة بالنسبة اليه وكونه آخر حكماء السياسة اللبنانية وانه سيحتاج دائماً نصائحه كي يستقيم له الحكم، فما كان من الرئيس فرنجية الا أن تمنى له التوفيق. في الثامنة والنصف توجه الى دارته في اهدن برفقة سليمان طوني فرنجية في موكب من مئات السيارات المليئة بالزغرتاويين، وصلوا الى اهدن في حوالى التاسعة مساءاً حيث كانت تنتظرهم حشود غفيرة. وقد أراد الجميع مصافحة الرئيس وحتى تقبيله حتى ليمكن القول أن الحشود كادت تقطع عليه أنفاسه مع فرنجية قبل أن يبلغا الصالون القديم في الطابق الأرضي من دارته.

أما النواب المسيحيون الذين انتخبوا الرئيس معوض فلم يعد باستطاعتهم العودة الى منازلهم في المنطقة الشرقية لأنه كان من الممكن أن يعتقلهم العماد عون، فتوزعوا ما بين اهدن وبشري والبقاع وفندق السمرلاند في بيروت.

هذا ولم تكن هذه الفرحة الحقيقية التي طالما انتظرت في اهدن، وظلت فرحة أبناء الشمال منقوصة، ولم تكتمل غبطتهم. فقد كان في زغرتا وقضائها تيار مهم يؤيد العماد عون وقد رأوا في انتخاب رينه معوض تنفيذاً بالقوة للسياسة السورية ضد عون. ولم يكن الرئيس معوض يميز بين ابناء زغرتا البلدة، مركز القضاء، وبين أبناء الزاوية -القضاء بل انه أحب وساوى بين الطرفين كما بين جميع أبناء الشمال. وخلال أربعين عاماً من عمله السياسي خدم الناس من جميع العائلات وفي القضاء دون تمييز، فلم يتقبل أن يرى هؤلاء الناس الذين عرفوه منذ زمن طويل والذي ساعدهم في الأوقات الصعبة في الحرب والسلم، وهم يفضلون عليه، بفعل الغرائز وإثارة الشعارات البراقة والوعود الوطنية الجذابة،

العماد عون الذي لم يروه أو يعرفوه أبداً، خصوصاً أنهم اعتبروا هذا الأخير أكثر تمسكاً منه باستقلال لبنان.

حوالى الساعة الحادية عشرة تلقى اتصالاً هاتفياً من أحد المطارنة الموارنة أخبره فيه أن بعض المتظاهرين الشبان، وبتحريض من العماد ميشال عون قد دخلوا الصرح البطريركي في بكركي بالقوة فكسروا وخربوا وحاولوا إهانة البطريرك نصر الله صفير لأنه أيّد اتفاق الطائف. كما أكد له أن البطريرك مستاء جداً وأنه غادر بكركي الى مقره الصيفي في الديمان. فرأى الرئيس معوض أن هذا الأمر خطير جداً لأنه لم يسبق لنا في لبنان أن تعرضنا لأي من السلطات الدينية وخصوصاً بكركي، وهي الصرح التاريخي المحترم من جانب جميع اللبنانيين وليس من الموارنة وحسب. وقد بدا منفعلاً مستاءاً لأن هذا الحادث وقع يوم انتخابه وحاول كثيراً الاتصال بالبطريرك هاتفياً، لكن عبثاً. وكان من الواضح أن عون أرسل هذه المظاهرة لأن الدكتور سمير جعجع أعلن تأييده اتفاق الطائف بناء على نصيحة الأميركيين.

بعد الاعلان رسمياً عن انتخاب رينه معوض رئيساً للجمهورية سارع العماد ميشال عون الى الاعلان أن هذه العملية الانتخابية غير دستورية لأنه، وبحسب رأيه، كان قد حل البرلمان في اليوم السابق. كانت اللجنة العربية الثلاثية المؤلفة من الملك السعودي فهد بن عبد العزيز وملك المغرب الحسن الثاني والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد قد أرسلت تهنئ الرئيس المنتخب، فيما أعلنت سوريا دعمها المطلق، وطلبت واشنطن من العماد عون احترام نتيجة الانتخاب، فيما أبدت فرنسا ارتياحها لأجراء الانتخابات الرئاسية.

في الساعة الثانية صباحاً، ذهب الجميع الى النوم، فبقيت وجهاً لوجه مع الرئيس معوض وقرينته، السيدة الأولى، وفي الخارج، بعض الشبان في حديقة المنزل. ساد بيننا صمت ثقيل كسره الرئيس بسؤال وجهه الي: «فيمَ تفكر؟»

فأجبته أنني الآن أصحو من نشوة النصر، لأعي في هذه اللحظات أنك رئيس بدون قصر رئاسي وبدون حرس جمهوري، لا جيش تحت أمرتك ولا جهاز مخابرات، باختصار، لا شيء! أنت تمثل مشروع الوفاق الذي نص عليه اتفاق الطائف الذي يعاديه أطراف داخليون وخارجيون سيحاولون مواجهتك وربما

محاربتك. وشدّدت على أن الدولة في الوقت الحالي منقسمة وأن معظم الجيش اللبناني وأجهزة المخابرات الداخلية والخارجية هي تحت أمرة العماد ميشال عون الذي يعارض بشدة اتفاق الطائف.

في ظل هذا الوضع الصعب بدا الرئيس المنتخب ملؤه الأمل والشجاعة والاقدام وذا معنويات مرتفعة الى أقصى درجة، وذلك من منطلق ثقته المطلقة بمناقبية كبار الضباط في الجيش اللبناني وفي الأجهزة الأمنية الأخرى، كما في كبار الموظفين في سائر مؤسسات وإدارات الدولة الذين كانوا يراهنون في نظره على قيام الدولة وحكم القانون.

هذا على الصعيد الداخلي، أما على الصعيد الاقليمي فان مرد هذا الاطمئنان كما فهمت من احاديثي معه الى أنه اعتبر ان هناك معسكرين، الأول هو محور العراق- منظمة التحرير، الداعم للعماد عون والذي يمده بالسلاح، والذي حظي بطريقة غير مباشرة بتغطية فرنسا والفاتيكان. والآخر محور اميركا- السعودية- سوريا، المحور الأقوى آنذاك، الذي أعد وساعد في وضع اتفاق الطائف وأيده، وكان في رأيه أن المعسكر الثاني هو الذي سيربح حتماً، بعد انعدام التوازن في ظل تراجع النفوذ السوفياتي في المنطقة.

وحوالى الثالثة صباحاً تمنيت له نوماً هنيئاً بعد أن أبلغته أنني سأحضر في الصباح الباكر كي نؤلف جيشنا الخاص وأجهزتنا الأمنية الخاصة. ولم يكن الرئيس قد طلب الي أي شيئ كما أنه لم يمنحني أي صفة، بل أنني تدخلت في الأمر كشخص قريب يحظى بثقة الرئيس وبصفة شخصية عاطفية. ذهبت للنوم، لكن لم يغمض لي جفن تلك الليلة لما كنت أعيشه من توتر وبسبب الأفكار التي كانت تضغط على رأسي كالجبال.

اليوم الثاني
الاثنين ٦ تشرين الثاني

في الساعة الثامنة تماماً وصلت الى دارة الرئيس التي بدأ آل معوض وقاعدته السياسية يسمونها قصر الرئيس معوض.

منذ الدقيقة الأولى لانتخاب الرئيس معوض أصبح عبد الله معوض، المستشار الاعلامي في البرلمان هو المستشار الاعلامي الرسمي للرئيس والرئاسة، وبات هو الذي يتعاطى مع مختلف وسائل الاعلام من وكالات أنباء وصحف وإذاعات وتلفزيونات، في لبنان والعالم أجمع. كان دائم الحضور ومستعداً للقيام بجميع أنواع المهمات طوال الاربع والعشرين ساعة. كان عبد الله ظل الرئيس معوض وهو نموذج فريد في اللباقة والجدية والاخلاص، وعلي أن أذكر أن عبد الله ليس مواطناً زغرتاوياً، بل أنه من بلدة رميش المقاومة الواقعة بالقرب من الخط الأزرق جنوب لبنان.

كان الرئيس قد استيقظ وبكامل أناقته كالعادة، وقد حضر حلاقه الأمين شكري الحمصي منذ الصباح الباكر، ليحلق ذقنه كالعادة.

أراد الرئيس أن يبدأ نهاره بزيارة البطريرك نصر الله صفير في الديمان. فقصدها حوالى الساعة التاسعة في موكب صغير من شباب العائلة. وكان الرئيس حسين الحسيني قد وافاه في الوقت نفسه عند البطريرك. كانت الزيارة الثانية التي يقوم بها بعد زيارة الرئيس سليمان فرنجية في الليلة السابقة. وقد أراد ان يعبر للبطريرك عن استيائه الشديد من حادثة الأمس ويبلغه تضامنه المطلق معه، كما أراد ان يحظى ببركته المقدسة التي يحتاجها في مهمته الصعبة. وكانت خلوة

دامت نصف ساعة بين الاثنين أعاد خلالها الرئيس معوض التأكيد للبطريرك صفير على خطته الهادئة والمسؤولة لاستعادة الوطن وكل مؤسساته الى حضن الدولة دون إراقة نقطة دم واحدة.

وحوالى الساعة الحادية عشرة عاد الى اهدن ليتقبل تهاني الشخصيات السياسية والديبلوماسية التي كانت تصل تباعاً من مختلف المناطق اللبنانية، فيما كانت تصل دون توقف آلاف الاتصالات التلفونية للتهنئة من مختلف أنحاء العالم، منها اتصال من الزعيم الزغرتاوي أسعد بك كرم الذي كان في زيارة خاصة الى الولايات المتحدة الأميركية، عبر فيه عن فرحته بانتخاب ابن زغرتا رئيساً، وعن دعمه المطلق له.

أول الواصلين كان الرئيس عمر كرامي وشقيقه معن على رأس حشد كبير من أنصارهما، وهما اللذان كانا يريان فيه صورة شقيقهما رشيد، وقد سرهما كثيراً أن يصل الى سدة الرئاسة.

في باريس كان الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران قد أعلن عن عزمه على مساعدة الرئيس المنتخب رينه معوض[1].

في بعبدا طالب العماد عون البطريرك صفير بالتنحي لأنه غادر مقره في بكركي.

أما أنا، فكان أول ما قمت به هو الاتصال بالمقدم جوزف رميا لاستلام مهمة المرافق العسكري للرئيس، والمقدم رميا هو من نخبة ضباط الجيش اللبناني، كان يكن حباً كبيراً للرئيس معوض الذي احترمه كثيراً.

لم تمض ساعة حتى كان المقدم جوزف رميا واقفاً الى جانب الرئيس متولياً مهمة مرافق الرئيس يلازمه طوال ساعات عمله ببذلته الرسمية الزرقاء الجميلة، فلم يفترقا الى أن قضيا معاً.

الأمر الآخر المطلوب كان تشكيل مجموعة من المخلصين ليؤمنوا حماية الرئيس داخل القصر إضافة الى مواكبته الشخصية، فاستدعيت شباناً من آل معوض أثق بإخلاصهم وولائهم وشجاعتهم، وقد وجدت صعوبة في اختيار ثلاثين شاباً نظمت لهم جدول دوام يحدد أدوارهم في الحراسة والمواكبة، وهو أمر وجدوه صعباً لأنهم لم يتعودوا من قبل الانضباط العسكري، الا أنهم كانوا

سعداء ولم يتذمروا إذ كانت لهم محفزات تجعلهم مستعدين للتضحية دفاعاً عن الرئيس الذي شكل حلماً راود كلاً منهم.

ثم استعنت بسرية من اللواء السابع في الجيش اللبناني الذي كان متواجداً في البترون شمال لبنان، وربما من باب الحذر ولأسباب أمنية اوكلت قيادة هذه الوحدة العسكرية الى ضابطين من زغرتا هما النقيبان بطرس عزام وأنطوان مكاري اللذين كنت واثقاً من شجاعتهما وولائهما، وتولت هذه الفرقة مهمة حراسة محيط القصر ومرافقة الموكب الرئاسي. ولأن الآليات لم تكن متوفرة للجيش فقد جمعت ما عند آل معوض من سيارات رانج روفر وجيبات لتجهيز الموكب المرافق للرئيس.

في اليوم ذاته استلمنا سيارة المرسيدس المصفحة التي قدمها السيد رفيق الحريري، فسلمت الى أسعد أنور معوض على أن يتولى حراستها بنفسه وأن يحتفظ بمفتاحها ويبيّتها دائماً في مرآب مقفل.

أما سليم سعادة، سائق الرئيس السابق المخلص فقد أوكلت اليه مهمة مقدسة وصعبة، فجعلته المسؤول الوحيد عن كل ما يدخل القصر من طعام ومؤونة، فلم تعد تدخل القصر قطعة خبز أو قطرة ماء الا عبره وبإذن منه، فصار يهب أو يرمي ما يقدم كهدايا الى القصر من ثمار أو حلويات لم تمر تحت رقابته، حتى وإن كان من يقدمونها هم من اقرباء او أصدقاء آل معوض، وقد أدرك أهمية مهمته وحرص على ألا يصاب الرئيس بأي أذى.

ومنذ العشية كان يدور أمام منزل الرئيس مهرجان الفوز حيث عقدت حلقات الدبكة اللبنانية على صوت الطبل المختلط بالموسيقى والأغاني تقطعها عواصف التصفيق لدى وصول زعيم أو سياسي ما للتهنئة أو لنقل رسالة سياسية.

لم تتأمن الموازنة المالية لمهماتنا، فاضطررنا الى تأمين السيارات والمحروقات وطعام جميع العاملين بالوسائل الخاصة المتوفرة.

وثارت في الأراضي اللبنانية وفي أوساط المغتربين اللبنانيين ضجة حول الخطر على حياة الرئيس المنتخب منذ لحظة انتخابه. ففي هذا اليوم تلقينا زيارات واتصالات هاتفية من لبنان والخارج تنبه الى هذا الخطر وتنصح الرئيس بالبقاء في اهدن وممارسة الحكم منها. لكن الرئيس معوض، الذي وعى هذا

الخطر بدا جازماً في هذا الموضوع لأنه كان مقتنعاً تماماً بأنه، ورغم الواقع، لا يستطيع الحكم الا من العاصمة بيروت. وهذا ما أكده لي بشكل قاطع قائلاً: «من المفترض بي أنا أن أذهب للامساك بزمام الحكم في عاصمة البلاد حيث تقوم المؤسسات الشرعية والبعثات الديبلوماسية من دول العالم. فالدولة لا تأتي الي بل أنا يجب أن أذهب اليها، لذا يجب أن أنتقل بسرعة الى بيروت لأشكل حكومة جديدة وأوحد الجيش ركيزتها الأساسية وأعمل على إحياء جميع المؤسسات الشرعية في البلاد استعداداً لمؤتمر السلام في الشرق الأوسط الذي لا شك سينعقد قريباً.»

لو ان أحداً غيري سمع هذا الكلام من الرئيس حول السلام العربي الاسرائيلي لقال إن الرئيس يحلم.

كان الرئيس قد قام باتصالاته مع العديد من أصدقائه السياسيين واتفقوا معاً على أن يستخدم كمقر مؤقت لرئاسة الجمهورية حالياً مبنى شركة «أوجي» التي يملكها السيد رفيق الحريري، وهو قائم بمواجهة فندق «بوريفاج». وقد وقع الخيار عليه لدواعٍ أمنية أولاً كون المبنى يقع وسط المربع الأمني السوري على بعد خطوات من مكتب رئيس المخابرات السورية في بيروت العقيد علي حمود. وقد تم الاتصال بالسيد رفيق الحريري، فأخلي المبنى من الموظفين وأمنت اللوازم الضرورية خلال بضع ساعات.

وفي الساعة الواحدة من مساء ذلك اليوم (صبيحة اليوم التالي) اجتمعت به بحضور المقدم جوزف رميا وقرينته السيدة نائلة، فأطلعته على كل التدابير التي اتخذتها لتأمين الحراسة والمواكبة والسيارات وعلى الاجراءات الأمنية التي أزعجت أبناء العائلة الذين لم يتعودوها بأي شكل من الأشكال.

لقد بدا لي واضحاً وجلياً منذ مساء اليوم الذي انتخب فيه أن الرئيس سيعين سليم الحص رئيساً للحكومة. كما اتضح لي أيضاً انه كان عازماً على توزير عدد كبير من أصدقائه نواب الطائف، وخصوصاً في حكومة العهد الأولى، وذلك تعبيراً عن تقديره لتضحياتهم التي أفضت الى توقيع اتفاق الطائف، ولثقته بمصداقية هؤلاء النواب وهو كان بحاجة الى الاطلالة على الشعب اللبناني والرأي العام العالمي عبرهم للانطلاق بدولة القانون والمؤسسات بعد دويلات

الميليشيات التي شوهت صورة لبنان ورسالته الحضارية، وكذلك تعبيراً عن تقديره لتضحياتهم الكبيرة المادية والمعنوية التي قدموها بعد أن اتهمهم العماد عون بالعمالة لسوريا.

وكانت سرت شائعات في ذلك اليوم حول انسحاب سوري محتمل من قضاءي الكورة والبترون في محافظة الشمال وعن إقامة السفارة الأميركية في منطقة البترون بعد ان كان الأميركيون في تلك الأثناء قد غادروا الأراضي اللبنانية بعد إغلاق سفارتهم في عوكر.

عند الساعة الثانية صباحاً تركت الرئيس كي اذهب سيراً الى منزلي الذي لا يبعد أكثر من مائة متر عن دارة الرئيس، وأنا أقل توتراً مما كنت عليه في اليوم السابق بعد ان أصبح هناك جهاز أمني في القصر ومحيطه وبنوع خاص اطمأننت الى وجود المقدم جوزف رميا بخبرته الحكيمة وهدوئه الواثق. فقد بات كل فرد يعرف دوره والجهاز الأمني في أيدٍ أمينة.

وصلت الى بيتي كي انام لكنيّ لم أستطع، فانا الذي أحب النوم لم يعد يغلبني النعاس أبداً، حاولت أن أنام على الارجوحة على شرفة منزلنا المشرف على وادي قزحيا. وفي اهدن يكون الطقس بارداً في شهر تشرين الثاني، لكنها كانت ليلة صافية أشرق فيها القمر مضيئاً الجبال المحيطة باهدن من كل الجهات، تحرسها منذ آلاف السنين. انتظرت بفارغ الصبر انبلاج نور الصباح وانا لا أدري ما الذي يخبئه لنا الغد، لكن ملئي الأمل في غد أفضل يحمل السلام والازدهار للبنان.

اليوم الثالث
الثلاثاء ٧ تشرين الثاني

إن مناخ اهدن منعش جداً نظراً لارتفاع البلدة عن سطح البحر البالغ ما يقارب الألف واربعمائة متر، فبعد قليل من النوم أو بعد غفوة بسيطة تستعيد كامل نشاطك. وهكذا وصلت الى قصر آل معوض على أفضل حال حوالى الثامنة صباحاً.

كانت الفرحة الشعبية مستمرة أمام القصر بحماس اكبر من الليلة المنصرمة.

كان النواب الذين أمضوا ليلتهم في اوتيل بلمون في اهدن قد وصلوا الى دارة الرئيس معوض منتظرين قدوم البطريرك نصر الله صفير الذي أراد الحضور لتهنئة الرئيس في منطقته في اهدن، ومنهم شفيق بدر وبيار حلو وجورج سعادة وميشال ساسين ونصري المعلوف وادمون رزق وبطرس حرب وحبيب كيروز وألبير منصور والياس الخازن. كما كان هناك عدد كبير من الصحافيين الذين تواجدوا باستمرار في مقر الرئيس في اهدن منذ انتخابه والذين كانوا يتعاملون مع عبد الله معوض.

وبوصول سيارة البطريرك الى الساحة أمام القصر تحلق حولها جمهور كبير مما اضطر البطريرك الى الترجل لأن السيارة لم تعد تستطيع التقدم. وقد هتفت له الجموع بقوة ونثرت فوقه الأرز والزهور والعطور، وارتفعت أصوات النسوة بالزغاريد هاتفة بحياته فيما الموسيقى تعزف عالياً. نزل الرئيس معوض الى مدخل الدارة لاستقباله وتعانقا طويلاً. ولدى مغادرته بعد أربعين دقيقة كان البطريرك يعلن أنه يطلب ان يكون الله في عون الرئيس كي يوحد جميع اللبنانيين

ليكون لبنان واحداً برئيس واحد وحكومة واحدة وبرلمان واحد. وهذا ما استدعى تصفيقاً حاراً من الجمهور لدى مغادرته كما لدى وصوله.

أما في بعبدا فكان العماد عون يعلن في ذاك اليوم أنه يرفض بشكل قاطع الانتخابات الرئاسية وأن رينه معوض بالنسبة اليه ليس الا مجرد نائب سابق.

وفي دمشق اعلن وزير الاعلام محمد سلمان أن سوريا تضع شرطين لانسحاب جيشها من لبنان وهما وقف الحرب الأهلية وانسحاب الجيش الاسرائيلي من لبنان [٢].

في واشنطن العاصمة وجه الرئيس الأميركي جورج بوش انتقاداً شديداً الى انصار العماد عون بسبب اعتدائهم على الصرح البطريركي في بكركي معلنا أن تقسيم لبنان أمر مستحيل ومرفوض[٢].

في جدة في السعودية أعلنت اللجنة المنبثقة عن القمة الاسلامية بأعضائها الستة والأربعين دعمها الرئيس اللبناني بعد توقيع اتفاق الطائف[٢]. كما تلقى الرئيس معوض في ذلك اليوم برقيات تهنئة من الشخصيات التالية: الرئيس الأميركي جورج بوش والرئيس السوداني عمر البشير والحسين ملك الاردن وملك المغرب الحسن الثاني ورئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر وملك بلجيكا بودوان ورئيس وزرائه ويلفرد ملرتنز والرئيس التونسي زين الدين بن علي.

وفي فرنسا أكد وزير الخارجية رولان دوما دعم فرنسا للرئيس رينه معوض[٢].

في ستوكهولم رأى وزير الخارجية السويدي في انتخاب الرئيس معوض مؤشراً إيجابياً على الوفاق الوطني في لبنان [٢].

وأصدر مجلس الأمن في الأمم المتحدة بياناً تلاه السفير الصيني يؤيد الرئيس معوض ويدعو اللبنانيين الى مؤازرته بقوة[٢].

وفي طوكيو رحبت الحكومة اليابانية بانتخاب معوض داعية اللبنانيين الى الالتفاف حول الوفاق الوطني [٢].

أما في طهران فان الصحيفة الرسمية الناطقة باسم الثورة الايرانية أعلنت أن انتخاب معوض لن يحل الأزمة اللبنانية وأن المقاومة الاسلامية سوف تستمر في

مواجهة الهيمنة المارونية على السلطة في لبنان [٢].

أما من داخل لبنان فقد تواردت برقيات التهنئة والتأييد تقريباً من جميع البعثات الديبلوماسية والمرجعيات الدينية والقيادات السياسية والحزبية والنقابية اللبنانية.

وفي ما بعد الظهر قام الرئيس بزيارة خاطفة الى الرئيس عمر كرامي في طرابلس، وقد استقبل استقبال الملوك لأن أبناء طرابلس أحبوه كثيراً ورأوا فيه صورة بطلهم الرئيس الشهيد رشيد كرامي.

وبعد عودته وفي حوالى الساعة السادسة مساءاً زاره مهنئاً صديقه الاستاذ غسان تويني، وقد اختليا مدة ساعة تقريباً في جناح الرئيس الخاص. وما جمع بين الرئيس معوض وغسان تويني هو أكثر من الود والاحترام والمحبة والتقدير. كان رينه معوض ذا ثقة كبيرة في عقل غسان تويني وخبرته في المحافل المحلية والاقليمية والدولية، فهو رجل السياسة وسيد الفكر والقلم والبصيرة المستنيرة لا يمكن الا ان يكون من أقرب المقربين الى الرئيس معوض.

وفي حوالى التاسعة مساءاً استقبل الرئيس معوض وفداً سورياً حضر لتقديم التهاني باسم الرئيس حافظ الأسد، وقد تألف من نائب الرئيس عبد الحليم خدام والعميد غازي كنعان رئيس جهاز المخابرات السورية العاملة في لبنان، وقد حضر سليمان طوني فرنجية جزءاً من اللقاء، وبعده استبقاهم الرئيس للعشاء. دامت الزيارة بأكملها ساعتين تقريباً، اما الحشود المتواجدة في ساحة القصر فقد استقبلت الوفد كما ودعته بشيء من الفتور، وهذا ما بدا جلياً ومستغرباً الى حد ما. ولدى خروجه كان خدام قد صرح أن عون لا يستطيع أن يقف في وجه الوفاق الوطني.

بعد منتصف الليل ساد الهدوء في الداخل والخارج بعد التعب الذي أنهك الجميع، فتحدثت مع الرئيس في ما قمنا به في ذاك النهار، واتفقنا على أن نسرب الى الحشد في الخارج أنه سينتقل بعد غد الى بيروت، بقصد التمويه إذ كنا في الواقع نعد الاجراءات الضرورية للمغادرة في اليوم التالي.

وقد اطلعني بإيجاز على طبيعة الزيارة السورية، فأخبرني أن خدام نقل اليه دعم الرئيس حافظ الأسد المطلق مع دعوة رسمية لزيارة سوريا. كما وضع

الجيش السوري في تصرفه من أجل وضع حد بأسرع ما يمكن لحالة التمرد من جانب عون .

وعلى ذلك رد الرئيس بالكثير من اللباقة والتقدير بأنه يشكر الرئيس السوري شكراً جزيلاً على ثقته الكبرى موضحاً أنه يعتبر الجيش السوري شقيقاً للجيش اللبناني . لكن في الوقت الحالي لا يرى نفسه بحاجة الى استخدام القوة فهو سيشكل حكومة اتحاد وطني وهو سيعتمد جميع الوسائل السياسية الممكنة في سبيل إقامة الحوار والمصالحة من أجل توحيد البلاد بدون التسبب بالمزيد من القتلى والدمار .

هذا كان الموضوع الرئيسي . وقد جرى نقاش في شكل الحكومة الجديدة وتركيبها فأكد الرئيس أن جميع وزراء حكومته سيكونون من المعادين لاسرائيل وأنه لن يكون فيها أي وزير معاد لسوريا ، وأنه سيختارهم بالتعاون التام وبالتفاهم مع رئيس وزرائه كي يشكلوا فريق عمل متجانساً . هكذا يتضح أن الرئيس معوض كان واثقاً وذا قناعة تامة بأن سوريا لن تتدخل في تفاصيل الوضع الداخلي اللبناني ، وأن التنسيق إقليمياً سوف يكون وثيقاً معها في مجال السياسة الخارجية والدفاعية والأمنية فقط .

في كل مساء كنت أتحقق أكثر فأكثر من أن المشروع سيكون طويلاً وأن المهمة شبه مستحيلة إذ إن على الرئيس أن يعيد بناء الدولة حجراً بحجر وليس بين يديه أي شيء ملموس ، فصرت أحس النهارات طويلة جداً والليالي أكثر طولاً لما كان ينتابني من أرق .

اليوم الرابع
الاربعاء ٨ تشرين الثاني

في الساعة الثامنة صباحاً كنت أشرب قهوة الصباح مع الرئيس في الصالون الخاص من الطابق الثاني . وراح كالعادة يناكفني قائلاً إنني امضي وقتي في النوم وأستغرق ساعتين كي أرتدي ثيابي ، وهذا ليس من صفات العسكري ولا يليق به .

ثم طلب الي ان أعد بسرية جميع الاجراءات اللازمة لانتقاله الى بيروت بعد ظهر هذا اليوم ، وأن استقدم طائرة من طيران الميدل إيست الى القاعدة العسكرية في القليعات كي تقله . وقد أكد لي أن مبنى اوجي لبنان قد أخلي وأعد وأصبح جاهزاً لاستقبالنا . منذ الدقيقة الأولى لانتخابه كان الخطر يحيق به ويلازمنا . وكان هاجسي «تلغيم السقوف والسطوح» كذاك الذي انفجر فوق رأس الرئيس بشير الجميل والسيارات المفخخة كتلك التي قتلت المفتي حسن خالد وعدداً آخر من المسؤولين اللبنانيين ، وطائرة الهليكوبتر المفخخة التي قتلت رئيس الوزراء رشيد كرامي وأخيراً كنت أفكر في امكانية اعتماد الارهاب للاغتيالات السياسية كأن يجري تلغيم طائرة مدنية تنفجر في الجو .

أدرك الرئيس المنتخب حجم الخطر الذي يدور حوله ، وقد عرف تماماً أنه يخوض سباقاً مع الوقت كي يوحد الوطن ويصل الى قصر بعبدا . كان عليه إنجاز مهمة مقدسة انتظرها بفارغ الصبر وهي تستحق في رأيه كل المجازفات الممكنة . ومما كان يقوله ان التاريخ لن يسامحنا إذا نحن ترددنا في تقديم التضحيات المطلوبة لانقاذ البلاد .

وبما أنني كنت أخاف الجميع ولا أثق في أي كان اتصلت بالعميد نبيه فرحات الذي كان في تلك المرحلة مديراً للمخابرات التابعة للجيش اللبناني في بيروت الغربية، الخاضع لأمرة اللواء سامي الخطيب. كنت أثق فيه الى حد كبير وكان بيننا احترام متبادل. فطلبت اليه باسم الرئيس المنتخب الاتصال بادارة الميدل ايست لاحضار طائرة في الحال الى مطار القليعات بعد أن يقوم بعملية التفتيش اللازمة فيها من جهة الميكانيك ومن جهة الهيكل. وألححت عليه كي يأتي هو شخصياً في هذه الطائرة كي يرافقنا. ومما قلته له حرفياً: «إذا فتح باب الطائرة لدى وصولها الى مطار القليعات ولم تكن انت واقفاً امامه فان الرئيس لن يصعد الى الطائرة.»

وفي الوقت نفسه حضرت الموكب الرئاسي الكبير الذي اشتمل على عشرات السيارات ومنها سيارة الرئيس المرسيدس الرمادية المصفحة. هذا الموكب أقل قرينة الرئيس الى بيروت مع الأغراض الشخصية الضرورية للعائلة، سالكاً طريق اهدن - الأرز-البقاع- بيروت. نزلت السيدة الأولى في المقر الرئاسي المؤقت فيما انتقل الموكب الى المطار لانتظار وصول الرئيس على مدرج مطار بيروت.

ثم شكلنا موكباً بسيطاً من ثلاث سيارات عادية مجهولة لتنقل الرئيس الى القاعدة العسكرية في القليعات حيث كانت الطائرة في انتظارنا. غادرنا اهدن في الساعة الثالثة بعد الظهر. استقل الرئيس السيارة الوسطى جالساً في الخلف مع المقدم جوزف رميا فيما جلست أنا الى جانب السائق. أما عناصر المواكبة الشخصية، وهم ثمانية من شباب آل معوض فقد استقلوا السيارتين الأخريين مجهزين بأسلحة أوتوماتيكية أخفيت داخل السيارات كي لا تظهر على العلن.

ولدى وصولنا الى زغرتا طلب الرئيس الى السائق أن يعرج بنا على كنيسة سيدة زغرتا، وصلنا الى الكنيسة فدخلها الرئيس سراً يرفع صلاته الى السيدة، شفيعة جميع الزغرتاويين، كي تمده بالعون والحماية. لكن لدى خروجه وجد حشداً كبيراً من آل الدويهي، معظمه من النساء، كانوا قد تجمعوا بسرعة أمام الكنيسة، فتحلقوا حوله بشكل عفوي بأجسامهم وقلوبهم وراحوا ينثرون عليه الأرز والزهور ضارعين الى العذراء أن تحميه من جميع المخاطر التي قد يتعرض لها. وكنيسة سيدة زغرتا تقع في وسط حي آل الدويهي وهو الحي الأكثر قدماً

حيث المنازل عتيقة جداً ومتراكمة بعضها فوق بعض. ويبدو ان سيدة زغرتا تركت ابنها لقدره وهو الذي جاء يطلب حمايتها وأن هاتيك النسوة، الغاطسات بمعظمهن في الأسود، لم يكنَّ يعلمن أن الرئيس الذي كن يصفقن له سوف يعود بسرعة الى هذه الكنيسة كي يدفن فيها الى الأبد.

فارقنا هذه الحشد متأثرين جداً بهذا الاستقبال الحار متوجهين الى القليعات. وبوصولنا الى القاعدة العسكرية كانت طائرة الميدل إيست جاثمة على المدرج على أهبة الاقلاع. كان العميد فرحات ينتظرنا في المكان مع قائد القاعدة العسكرية العقيد سمير طبوش الذي جهز فرقة من الجيش لتقديم التحية العسكرية للرئيس. حيا الرئيس الجميع بسرعة وصعد الى الطائرة لالقاء التحية على الطيارين وطاقم الطائرة بالتهذيب المعهود في طريقته في التعامل. جلس في المقعد الأمامي الأول وبجانبه العميد فرحات لأنه كان يستغل كل لحظة لتسقط الأخبار التي يمكن أن تنير دربه. استغرقت الرحلة الى بيروت حوالى نصف ساعة وحطت الطائرة في المطار في حوالى الخامسة بعد الظهر. وعندما فتح باب الطائرة ونظرت أمامي استغربت جداً لا بل صدمت لرؤية جمع غفير من الناس محتشداً على مدرج المطار أمام الطائرة مباشرة وسط حشد من السيارات المرصوفة بعضها الى جانب بعض. كان فعلاً مشهداً لا يصدق من فوضى لا بد أن تثير الخوف في من يراها وهو في وضعنا. لم يكن هناك أي تنظيم وقد خفت كثيراً من هذا المشهد الذي ظل منطبعاً في ذاكرتي. ولدى نزولنا من الطائرة كان بامكان هذه الجماهير أن تسحقنا بسهولة لو لم نركب في السيارات. كان الجميع على أرض المطار بدون أي تنسيق فيما بينهم وقد اراد كل منهم القاء التحية على الرئيس. كان هناك العسكريون من الجيشين اللبناني والسوري ورجال الدرك والشرطة والجمارك والأمن العام إضافة الى جيش من موظفي المطار والميدل ايست والعديد من الصحافيين. وبسرعة استقل الرئيس ومرافقه العسكري سيارة المرسيدس البيضاء التابعة للعقيد علي حمود رئيس جهاز المخابرات السورية في بيروت. وربما أنه اختارها بعد ان اعتبر انها السيارة الأكثر أماناً له. وقد وصلنا عند هبوط الظلام الى المبنى الذي أطلق عليه الصحافيون اسم المقر الرئاسي المؤقت. وكان في استقبالنا مسؤول أوفده السيد رفيق الحريري كي يسلمنا

مفاتيح المنزل ويبقى في تصرفنا لأي خدمة تلزم.

فتشنا المبنى من أسفل الى أعلى ووضعنا لائحة بالموجودات فيه. استقر الرئيس وعائلته في الطابق الخامس حيث كان الرئيس يستقبل ضيوفه في صالوناته الواسعة. أما أنا فقد اتخذت لنفسي غرفة عند المدخل جعلت منها مكتباً وغرفة منامة في آن معاً. وقد استخدمنا الطابق السادس كجناح استقبال للزيارات الخاصة لعائلة الرئيس. وخصصت الطابق الرابع للحرس الشخصي المدني والثالث للعسكريين. أما الطابقان الأول والثاني فقد استخدما كمكاتب لمستشاري الرئيس المدنيين والعسكريين.

وعلى الفور وزعت الحرس المدني داخل المبنى والحرس العسكري على مدخله وفي محيطه. وقطعنا الطرق الثلاثة المؤدية الى المبنى بحواجز-أحصنة حديدية مع حراس عند كل حاجز وتركنا مدخلاً واحداً فقط لزوار المقر هو الطريق الجنوبي. وأقمنا الشبكة الهاتفية الضرورية لتأمين الاتصال بين الحرس والضابط المسؤول المتواجد في الطابق الأرضي ومع المرافق العسكري للرئيس لتنظيم دخول وخروج الزوار.

في ذاك المساء علمنا أنه في الوقت الذي غادرنا فيه اهدن الى قاعدة القليعات انفجرت سيارة مفخخة بالقرب من المركز السابق للدراسات الفلسطينية في رأس بيروت، كان ذلك في حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر وقد سقط جراءها ثلاثة قتلى وستة عشر جريحاً.

أول الواصلين الى المقر الرئاسي من الشخصيات كان الرئيس حسين الحسيني، فاجتمع بالرئيس معوض لمدة أربعين دقيقة. أما سائر الزوار في ذاك المساء فكان طلال سلمان مؤسس جريدة السفير يرافقه الصحافيون باسم السبع ومحمد شقير ووليد شقير. جاءوا يقدمون التهنئة للرئيس الذي احبهم وربطته بهم علاقة خاصة.

لم يكن اللبنانيون قد علموا بعد أن الرئيس قدم الى بيروت ولا أين استقر لأن شائعات سرت عن أن العماد عون كان ينتظر وصوله ليقصف المبنى بالصواريخ والمدافع. كانت شركة أوجي قد جهزت عشرة خطوط تلفونية في المبنى مع سنترال مركزي كما كان هناك خطان هاتفيان دوليان وخط آخر يعمل عبر القمر

الاصطناعي «إيمرسات». فالخطوط التلفونية كانت اهم أمر بالنسبة الى الرئيس كأنها الأوكسيجين الذي يتنفس به عبر اتصاله بالعالم، وكان يفضل استخدام خط «الأيمرسات» لأنه كان يعتقد أنه من المستحيل التنصت عليه بالرغم من توضيحي المستمر له بأن كل شيء يمكن أن يراقب وأنه لا وجود لكلمة مستحيل في قاموس التكنولوجيا.

اما سيارة الرئيس المصفحة فقد ركنت في الطابق تحت الأرضي وأقفل عليها. وبعد ان أنهينا وضع النظام الأمني وكل ما يتعلق بالخدمة في المبنى، انتقلت مع الضباط للاطلاع على المباني المجاورة المحيطة بنا. والمفاجأة الأولى بالنسبة الي كانت أن المبنى المجاور من جهة الشمال كان يقطنه مائة وعشرة من اللاجئين الفلسطينيين، وهذا ما أخافنا لأن ياسر عرفات كان ضد الطائف ومن المؤيدين للعماد عون. فتشنا المبنى بأكمله، غرفة غرفة، ووضعنا لائحة بأسماء جميع المقيمين فيه مع عناوين أماكن عملهم. كما طلبت من أحد الضباط ان يقوم بالأمر نفسه في اليوم التالي وبوضع قائمة بأسماء سكان جميع المباني الأخرى وخصوصاً الغائبين منهم في ذلك الوقت، وذلك للتأكد من أن شققهم لن تستخدم لاطلاق النار على المقر.

كما وضعنا خفيرين من الجيش على سطح المبنى مجهزين بقاذفتي آر. بي. جي. لقصف أي طائرة هليكوبتر يحتمل أن تقوم بعملية انتحارية أو تحاول اطلاق صواريخ على المقر.

قد يبدو كل هذا مضحكاً لكن الحقيقة أننا حاولنا استخدام جميع وسائلنا الشخصية المتوفرة لأننا لم نكن نملك وسائل أكثر أهمية.

في ذلك المساء اتخذ الرئيس شارل حلو مبادرة شخصية في محاولة لاقامة الحوار بين الرئيس معوض والعماد عون، وقد ساعده في ذلك الأباتي بولس نعمان والمحامي شاكر أبو سليمان، وقد اجتمعوا، هم الثلاثة، بعون، الذي قال لهم انه مستعد لمحاورة الرئيس معوض إذا قبل هذا الأخير بمطالبة السوريين بالانسحاب من لبنان. كما عقدت لجنة المطارنة الموارنة اجتماعاً في الديمان أصدرت على أثره بياناً مكتوباً هنأت فيه الرئيس معوض وشجعته على إنجاز المصالحة الوطنية. كما عبرت اللجنة عن استياء المطارنة واستنكارهم الحادث

الذي وقع في بكركي.

بعد ان قمت بجولة مراقبة أخيرة على كل الجهاز الأمني، صعدت في حوالى الساعة الثانية صباحاً كي انام. كان الرئيس ما يزال مستيقظاً، جالساً في الصالون يدون بعض الملاحظات، كان بعد برنامج عمله لليوم التالي إذ كان قرر ان يبدأ استشاراته في السراي الحكومي، وسيعقد اجتماعاً بالرئيس سليم الحص في المقر قبل أن ينتقل الى السراي أو ما يسمى ايضاً القصر الحكومي. وقد أعد لائحة بالمستشارين الذين قرر استدعاءهم الى المقر للعمل معه. جلست بالقرب منه دون كلام، فالتفت الي كالعادة بابتسامة استفزازية. كنت أشعر بالانزعاج في هذا الجو الغريب علي وفي محيط لم آلفه وفي وضع من عدم الثقة والأمان. كنت أحس وكأنني أعمى في سجن، أما الرئيس فانه بالعكس بدا مرتاحاً ومتحمساً وكأنه شرب دم السباع.

طلب الي ممازحاً ان أحتج مرة أخرى على عادتي. فأجبته بنبرة جدية: «فخامة الرئيس، إذا أردت أن أقول لك الحقيقة فهي أنني لم أحب اتفاق الطائف هذا، ولست مقتنعاً به حتى لو ازعجك رأيي هذا.»

انفجر ضاحكاً بمجرد أن رآني متوتراً وخصوصاً أنني مرهق. وراح يشرح لي كمعلم يفهم تلميذه ما يلي: «إن اتفاق الطائف هو تطوير للميثاق الوطني الذي وضع منذ استقلال لبنان. وقد عدل الدستور بغية إقامة التوازن بين السلطات التشريعية والتنفيذية ولتعزيز سلطة مجلس الوزراء. وقد باركت السعودية، وهي الركيزة الأساسية في العالم العربي والاسلامي، هذا الاتفاق معترفة أمام العالم أجمع بحق الموارنة في رئاسة البلاد. والأمر يتوقف على حسن تطبيقنا هذا الاتفاق على الأرض بعدالة وحزم. فاذا ما طبقناه بشكل سليم فاننا سننعم بمرحلة طويلة من السلام والازدهار، نصل بعدها الى حالة النضج الكفيلة بالغاء العامل الطائفي من الوظائف الرسمية. أما إذا طبقناه بشكل خاطئ فان البلاد ستدخل في حلقة مفرغة لا نهاية لها ويصبح النظام الديموقراطي مهددا بالزوال. وأنا هنا لكي أنفذه على أتم وجه.»

ودعته متمنياً له ليلة طيبة كي لا أظهر له أنني غير مقتنع.

وفي الساعة الثالثة صباحاً اتصل بي بشكل طارئ رئيس الحرس طالباً الي

النزول الى مدخل المبنى. فقفزت الى المصعد لأصل بعدها الى مركز الحراسة الواقع في مواجهة اوتيل بوريفاج حيث كان رجل سكران يتشاجر مع الخفير ورئيس الحرس لأنه أراد الدخول عنوة. وعندما كلمته بهدوء فهمت أنه رجل بسيط شديد السكر أخطأ المبنى وأنه يريد الذهاب الى أوتيل بوريفاج. وفي الواقع أن جميع العسكريين والمدنيين الذين شكلوا حرس المقر المؤقت كانوا شديدي التوتر لأنهم يعملون في جو غريب وغير مألوف، اما أنا فقد أمضيت ليلتي الرابعة بدون نوم.

اليوم الخامس

الخميس ٩ تشرين الثاني

في السادسة صباحاً كنت في الصالون الخاص أشرب قهوة الصباح مع الرئيس، كنت أضع ربطة عنق تجمع بين اللونين الأزرق والأخضر، فراح الرئيس يمازحني قائلاً إن هذين اللونين غير متناسقين ويتساءل من أين اتيت بهذا الذوق الطارئ.

وصل العميد فرحات عند الساعة الثامنة ليقدم الملخص اليومي عن الوضع الأمني في البلاد. وهو كان يحضر باكراً طوال الأيام التي أمضاها الرئيس في بيروت. فأبلغه أن قنبلة انفجرت مساء امس أمام منزل النائب السابق توفيق عساف في عين التينة بالقرب من شارع فردان وان الأضرار اقتصرت على الماديات. واستدعى الرئيس السفير عصام جابر والمدراء العامين عمر مسيكه وهشام الشعار والدكتور جورج ديب الخبير في الشؤون الدولية وعينهم مستشارين في رئاسة الجمهورية، وكانوا يحضرون يومياً الى المقر من الساعة الثامنة صباحاً وإلى السادسة مساء.

وقد استدعيت الرائد في الجيش وفيق شقير ليكون المرافق العسكري الثاني للرئيس الى جانب المقدم جوزف رميا والرائد علي بحصون ليعمل في الغرفة العسكرية التابعة للرئاسة.

وقد استأجرنا جرافتين كبيرتين من نوع «كاتربيلر» واشترينا كمية كبيرة من المكعبات الاسمنتية الضخمة كي نحول المبنى حصناً تحيطه من جميع الجهات سواتر ترابية واسمنتية الهدف الأساسي منها وقف السيارات المفخخة عندها.

استغرقت هذه الورشة ستا وثلاثين ساعة ليتحول المقر في اليوم التالي منطقة معزولة على محيط يتراوح قطره ما بين خمسين ومائة متر وراء خط دفاع وقد بدا كأننا نقيم سداً منيعاً مشابهاً لخط ماجينو .

وعززنا الحواجز الشائكة بالمكعبات الاسمنتية على المدخلين الوحيدين اللذين تركناهما سالكين كي نموه في عمليات المغادرة والعودة . ولحل مشكلة تغذية جمهرة المائة شخص الذين أقاموا في المبنى من موظفين وعناصر الحرس عقدت اتفاقاً سريعاً مع مالك فندق البوريفاج السيد شبل هرموش ، على أن يقدم ثلاث وجبات طعام يومياً في مطعم الفندق . وقد أبدى الكثير من الكرم وحسن الضيافة .

لقد تمثل لنا شبح الخطر في السيارات المفخخة وخصوصاً الانتحارية منها . وفي النتيجة كنا نعمل على أساس أنه إذا كنا لا نستطيع منع هذا الاحتمال أقله نجعلها تنفجر في الخارج عند السواتر المدعمة ، والمهم ألا تصل لتنفجر داخل المبنى .

واكثر من كان يشغل بالنا هو «حزب الله» بشبابه الانتحاريين الخبراء في هذا المجال ، وحزب الله كان قد عارض اتفاق الطائف على غرار إيران الداعمة الأساسية له . كما فكرنا في الاسرائيليين أكثر المعارضين لاتفاق الطائف وفي امكان قيامهم بعملية اطلاق صاروخ من طائرة هيليكوبتر على الشقة التي ينام فيها الرئيس . كما وضعنا احتمال عملية من العماد عون الذي كان يؤيده ياسر عرفات وصدام حسين وكان له مصلحة شخصية في إبعاد الرئيس وإسقاط اتفاق الطائف كي يبقى أطول مدة ممكنة في بعبدا . وقد أدخلنا في حساباتنا أن الفلسطينيين أو العراقيين قد يؤدون هذه الخدمة للعماد عون أو لمصالحهم الخاصة خصوصاً ان الفلسطينيين كانوا أقوياء جداً في بيروت الغربية نظراً لوجود عدد من مخيمات اللاجئين فيها .

وقد لاحقتنا أجواء احتمالات اغتيال الرئيس التي سمعناها في اهدن الى بيروت متكهنة بأكثر من سيناريو محتمل .

في الصباح الباكر أوفد الينا العقيد علي حمود رائداً من المخابرات السورية يدعى جامع الجامع للمشاركة في مواكبة الرئيس في كل تنقلاته ، فطلب اليه

الرئيس أن يتمركز مع رجاله في فندق البوريفاج . أما قائد الجيش اللبناني في المنطقة الغربية اللواء سامي الخطيب فقد أرسل الينا الرائد محمود الجمل على رأس سرية من الشرطة العسكرية للمشاركة في مواكبة الرئيس وتأمين الحراسة أمام المقر . وكذلك العميد محمود فواز قائد الدرك في الغربية فقد أوفد المقدم فايز رحال مع فرقة من الدرك للمشاركة في المواكبة أيضاً .

في حوالى التاسعة صباحاً قرر الرئيس معوض أن ينتقل الى السراي الكبير لاجراء استشاراته البرلمانية بعد أن كنا قد اتفقنا في الليلة السابقة على أن يجريها في المقر ، إذ أراد ان يستخدم مكاناً يشكل رمزاً للشرعية وهو المتعذر عليه آنذاك الوصول الى القصر الرئاسي في بعبدا . وهكذا سارع الرائد الجمل مع مجموعة من عناصر الجيش الى السراي الكبير لتفتيش المكان وتوزيع الحرس حول الصالون الكبير حيث سيجري الرئيس مشاوراته ، واهتم المقدم فايز رحال بخط سير الموكب وصولاً الى السراي فأخليت الشوارع المؤدية اليه فوراً من السيارات المتوقفة أو المتحركة قبل وصول الرئيس وحتى انتهاء المشاورات . إضافة الى ذلك قام المقدم جوزف رميا بنفسه ، على رأس مجموعة أخرى بتفتيش المكان كي يتأكد من أن كل شيء سار على ما يرام ، ذاك أن هاجسنا دائماً كان الطريقة التي اغتيل بها الرئيس بشير الجميل .

في الساعة الحادية عشرة غادر الموكب الرئاسي المقر وعلى رأسه كالعادة الرائد جامع الجامع والرائد الجمل والمقدم رحال ومعهم طبعاً المواكبة الشمالية من عسكريين ومدنيين . وكالعادة جلس المقدم رميا في الخلف الى جانب الرئيس في سيارة المرسيدس الرمادية المصفحة التي كان يقودها أسعد أنور معوض . ولم يستغرق الوصول الى السراي سوى خمس دقائق لأن الطرقات كانت خالية مما ساعد الموكب في السير بسرعة . وعند نزول الرئيس معوض من سيارة الرئاسة عند مدخل القصر الحكومي تحلق حوله حراسه من آل معوض فغضب وزجرهم قائلاً لهم حرفياً : «لا أريد أن أرى أحداً منكم حولي أو بالقرب مني ، وحده الجيش والقوى الأمنية الشرعية هي المؤهلة للحماية . » فابتعد الجميع الا العناصر التي ترتدي اللباس العسكري .

أمضى الرئيس معوض ثلاث ساعات في إجراء المشاورات وقد بدأها مع

الرئيس حسين الحسيني ثم مع الرئيس سليم الحص ثم استقبل أربعة وعشرين نائباً بصفتهم الشخصية أو ممثلين للكتل النيابي، وهم على التوالي النواب عبد اللطيف الزين ورفيق شاهين وحسين منصور وجميل كبي ومحمد يوسف بيضون وعلي الخليل وفريد جبران وتوفيق عساف والياس الهراوي وادوار حنين وبيار حلو وادمون رزق وشفيق بدر. وفي الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر عاد الرئيس الى المقر لتناول الغداء وليحضر للاجتماعات التالية.

وفي الرابعة والنصف استقبل الرئيس وفداً من الجبهة الوطنية ضم نبيه بري ووليد جنبلاط والياس حبيقة وزاهر الخطيب وعلي عيد وعبد الله الأمين وسمير صباغ وكريم مروة ومنير السيد وداود باز وفياض حيدر وعبد الرحيم مراد ونصري خوري. وجميعهم أبلغوا الرئيس أنهم يريدون التوصل الى نهاية للحرب في لبنان وأن ملأهم الثقة فيه على كافة الصعد. ولدى خروجهما من المقر أكد وليد جنبلاط ونبيه بري على ثقتهما برينه معوض وعلى استعدادهما للتعاون معه في تطبيق اتفاق الطائف وقد أطلقا عليه اسم «تفاهم» وليس «اتفاق». وفي حوالى السابعة استقبل الرئيس اللواء سامي الخطيب الذي زاره مهنئاً وواضعاً جميع امكاناته في تصرفه.

في هذا اليوم وقع حدث إعلامي سبب بعض الارباك، فقد نشرت صحيفة «الثورة» السورية حديثاً نسبته الى السيدة الأولى نائلة معوض يتعلق بالوضع الداخلي اللبناني. وفي الحقيقة أن هذا الحديث كان مختلقاً مما استدعى إيضاح الأمر، فوزع المستشار الاعلامي عبد الله معوض توضيحاً على وكالات الانباء المحلية والدولية وفيه أنه «لم يحصل أي لقاء أو حديث أو مكالمة بين الرئيسة نائلة معوض وصحيفة الثورة السورية أو مع أي مندوب لها أو مع أي صحيفة او وسيلة إعلامية أخرى».

في ذاك المساء بعث الرئيس معوض برسالة الى الرئيس السوفياتي ميخائيل غورباتشيف مهنئاً بذكرى ثورة أكتوبر الاشتراكية. ويجدر الذكر هنا ان الناطق باسم الحكومة الروسية كان قد اعلن صباح هذا اليوم أن روسيا قلقة إزاء امكانية تعطيل التفاهم السياسي للسلام في لبنان وأنها دعت جميع الأطراف اللبنانية الى التجاوب مع جهود المجتمع الدولي الذي أيد اتفاق الطائف. كما صرح الناطق

باسم الحكومة المصرية أن مصر تضع جميع امكاناتها لدعم وتعزيز الشرعية في لبنان.

كما تلقى الرئيس معوض في ذلك النهار برقيات تهنئة من رئيس جمهورية الصين الشعبية يانغ شانغ كون، ومن الرئيس البلغاري تيودور جيفكوف ومن الرئيس اليوغوسلافي ورئيس غانا والأمين العام لجامعة الدول العربية الشاذلي القليبي. كما وردت مئات البرقيات من اللبنانيين المقيمين والمغتربين. وحوالى منتصف الليل كنت جالساً آكل سندويش في صالون الطابق الخامس فيما جلس الرئيس الى طاولة غرفة الطعام يكتب رسالة.

كنت أكثر ارتياحاً من الليلة السابقة لاطمئناني الى أن السواتر الترابية والاسمنتية كفيلة بحمايتنا من السيارات المفخخة الانتحارية وبسبب وجود قوات الجيش اللبناني والدرك حول المبنى مما شكل دعماً مادياً ومعنوياً لمجموعتنا المحلية التي رافقتنا من الشمال. كان نهاراً طويلاً بدا كالأيام السابقة لا نهاية له.

بعد أنهائه كتابة الرسالة انتقل الرئيس ليجلس في الصالون. فأطلعته على ما كل ما فعلناه في هذا النهار، فشعر أنني أقل قلقاً مما كنت عليه في العشية، وهو بطبعه قادر على الحدس بمشاعر وأحاسيس الآخرين، فيسهل عليه معرفة ما إذا كانوا مرتاحين أم لا.

طرحت عليه سؤالاً مربكاً: كيف ستتعامل مع جميع هؤلاء الزعماء السياسيين الذين سيحضرون غداً وكل منهم يحمل لائحة أسماء لأشخاص يريد أن يؤمن لهم عملاً ما في الدولة؟

فأجابني بسرعة وكأنه كان مستعداً لهذا النوع من الاسئلة. قال انه اولاً يعتبر أن في القطاع العام اللبناني فائضاً عددياً وهو فضفاض جداً بالنسبة الى دولة كلبنان في ذلك الوقت. وأن القطاع العام حاجة ضرورية لكنه حالياً غير منتج، فالانتاجية تتحقق عبر القطاع الخاص. ولذا علينا أن نقلل من العدد في القطاع العام فنخفف الانفاق المادي دون أن نهمل تعزيز فاعليته. كما علينا أن نعيد انتاج الطبقة الوسطى، وندعم ونعزز القطاع الخاص لزيادة انتاجيته، فمنه تتأمن مداخيل الدولة! وطالما قام لبنان الديموقراطية والحرية على القطاع الخاص وعلى توفر جو من المنافسة الحرة في مختلف المجالات، السياسية منها



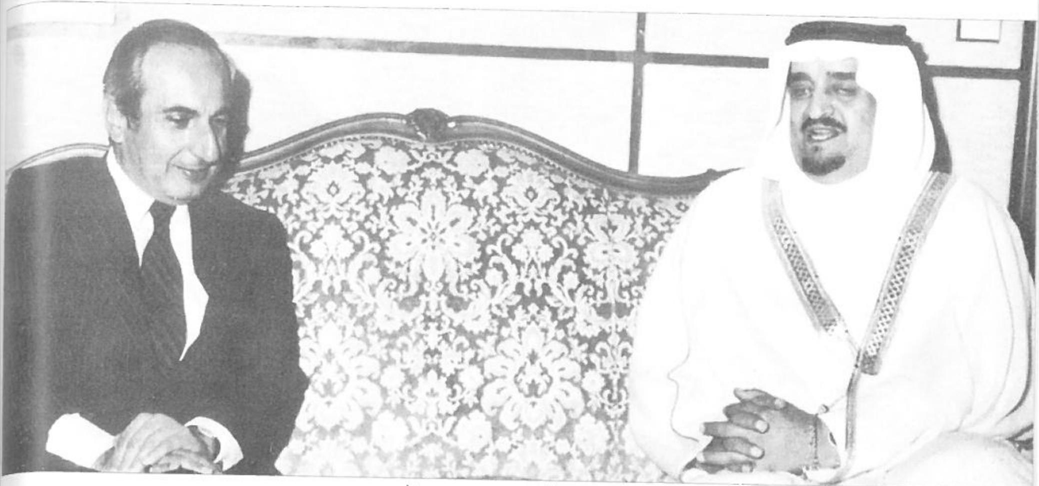
الرئيس الشهيد

والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. ثم تابع موضحاً لي أنه بخصوص الوظائف في الدولة فانه سيضطر في البداية الى تعيين موظفين يسميهم رجال السياسة، او من الذين يدورون في فلكهم. لكن ما سأطلبه منهم حكماً هو أن يتقدموا بمجموعة من الأسماء يكون للدولة حق الاختيار من بينها. وعليهم ان يختاروا النخبة من صفوفهم أي أفضل العناصر المؤهلة للمراكز المطلوبة. ثم حدق بي مباشرة مؤكداً أنه لن يسمح بعد الآن بان يدخل المعدمون أو أصحاب النواقص القطاع العام في لبنان.

وأذكر ان مساء ذلك اليوم تحلق حول الرئيس، في الصالون الخاص، عدد من الأصدقاء الشخصيين للعائلة من بينهم الأميرة خولا ارسلان، فقالت له: «أنا لا أحسدك على موقعك في هذا الظرف العصيب الذي تمر به البلاد لكن ثقتنا بك كبيرة يا رينه بك.» فنظر اليها الرئيس وكان يسند رأسه الى يده اليمنى من كثرة التعب وقال لها بكل ثقة وأمل: «لا تخافوا يا جماعة، أنا أدرك حجم المسؤولية وكثرة التحديات. انتظروا سنة واحدة ليس أكثر وسأعيد لبنان كما نتمناه جميعاً، واحداً موحداً مزدهراً أكثر مما تتصورون. وأنا اعرف ما أقول وما سأفعل.»

في هذا اليوم جرى حدث ذو أهمية تاريخية في ألمانيا، فقد أعلنت ألمانيا الشرقية فتح حدودها كاملة وفوراً بما فيها نقاط العبور في جدار برلين أمام مواطنيها الذين يرغبون في السفر الى الخارج. وإثر هذا الاعلان سارع المواطنون الألمان الى تدمير حائط برلين بأيديهم، فعادت برلين مجدداً موحدة وعاصمة لألمانيا(٣). فرأى الرئيس في هذا الحدث نذير سعد يشجع على إسقاط جدران بيروت وتوحيد لبنان.

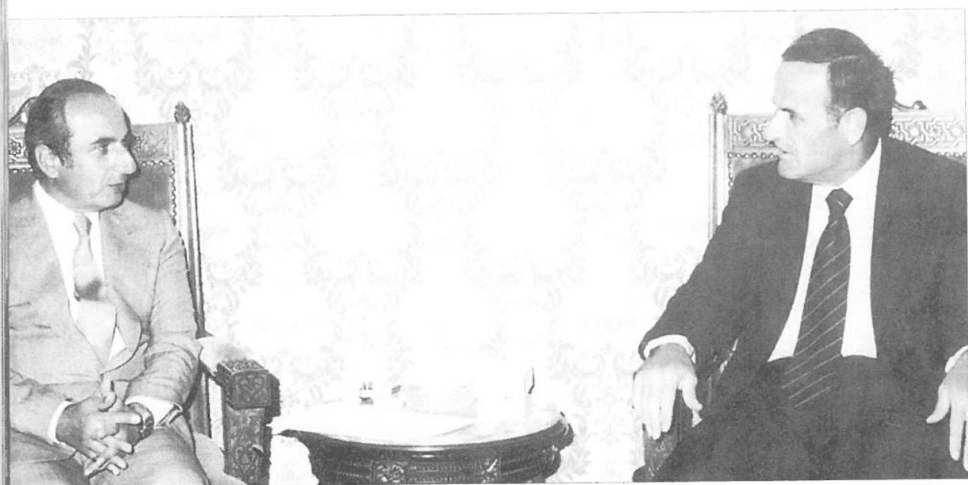
تركته متمنياً له ليلة طيبة ومشيت متثاقلاً من شدة النعاس، ولم أصدق كيف وصلت الى سريري كي أرتمي على وسادتي. لكن من سوء حظي انني قفزت مستيقظاً في الرابعة صباحاً بعد ان شاهدت كابوساً، إذ رأيت في منامي أن هناك ارهابيين يحفرون نفقاً من الطابق تحت الأرضي في المبنى المجاور يؤدي الى المبنى الذي نقيم فيه ليزرعوا متفجرات لتدميره. فسارعت الى ارتداء ملابسي وأصطحبت بعض الجنود لأفتش بنفسي كل الطوابق تحت الأرضية في المباني العشرة المجاورة.



مع الملك فهد بن عبد العزيز



مع الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد وبينهما نقيب الصحافة محمد البعلبكي



عند الرئيس حافظ الأسد



مع الحسن الثاني، ملك المغرب



بين الرئيس سليمان فرنجية وحفيده



معانقاً الأخضر الإبراهيمي

جلسة انتخاب الرئيس معوض في قاعدة القليعات العسكرية

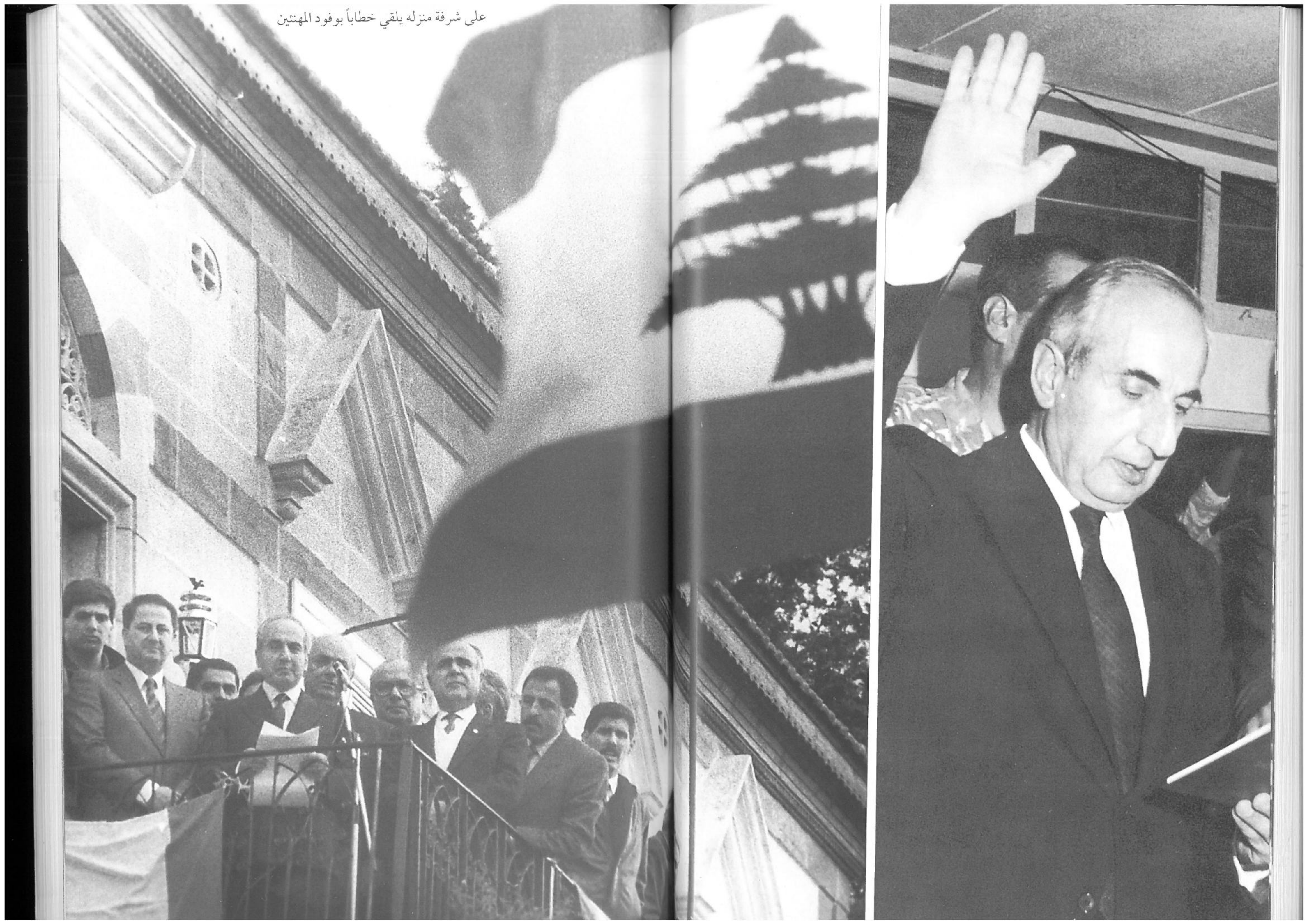


معانقاً الرئيس حسين الحسيني

معانقاً الأستاذ غسان تويني

معوض يلقي خطابه بعد الانتخاب

على شرفة منزله يلقي خطاباً بوفود المهنئين

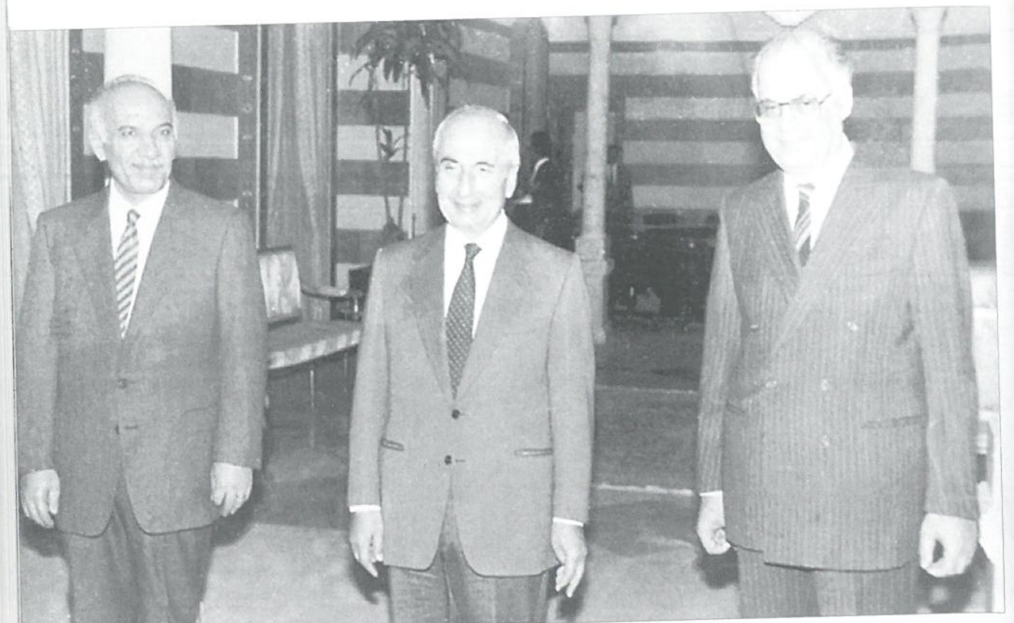


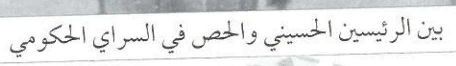


مع السفير الأميركي جون ماكارثي في اهدن



الرئيس معوض يزور الرئيس فرنجية في زغرتا





بين الرئيسين الحسيني والحص في السراي الحكومي









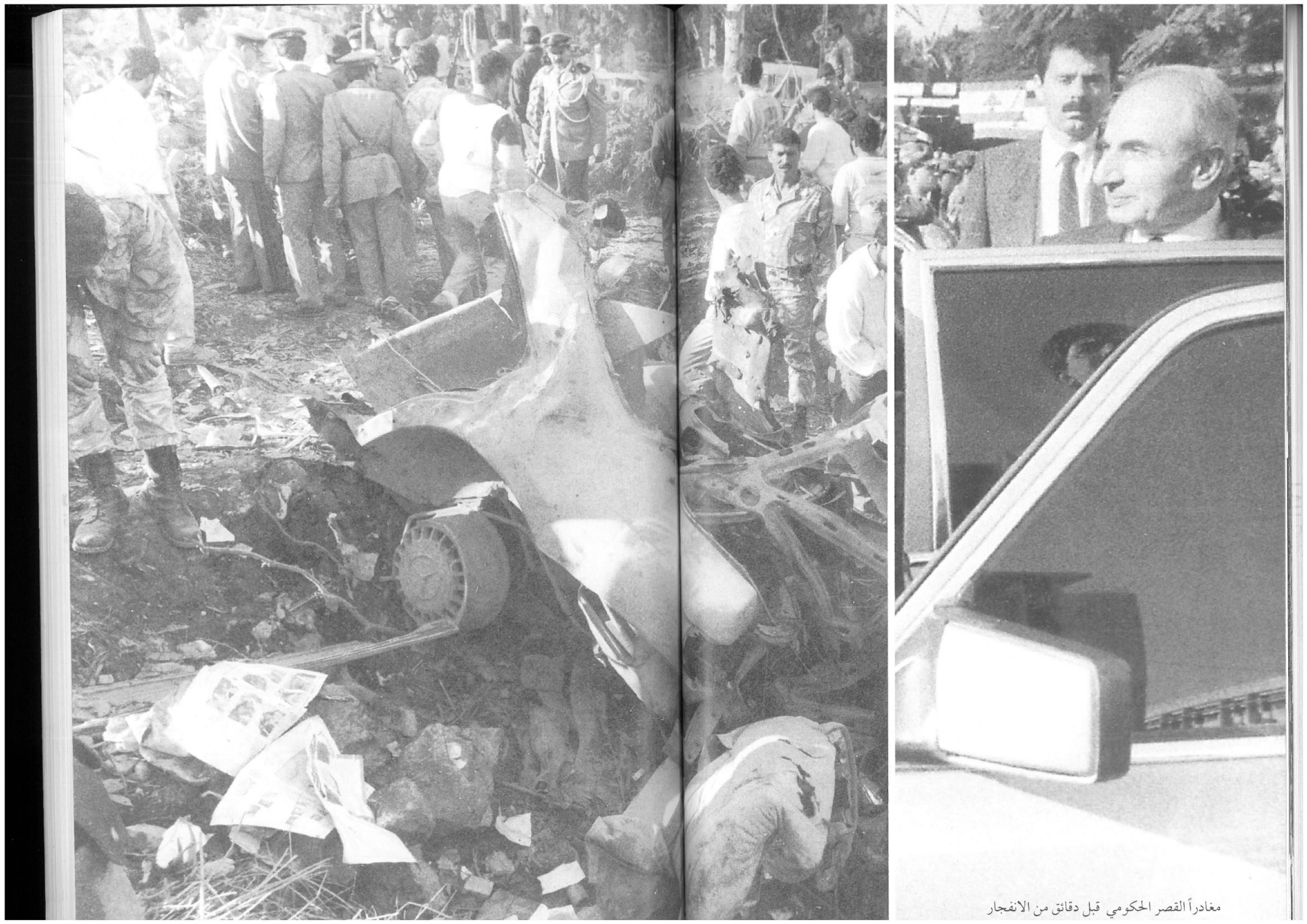




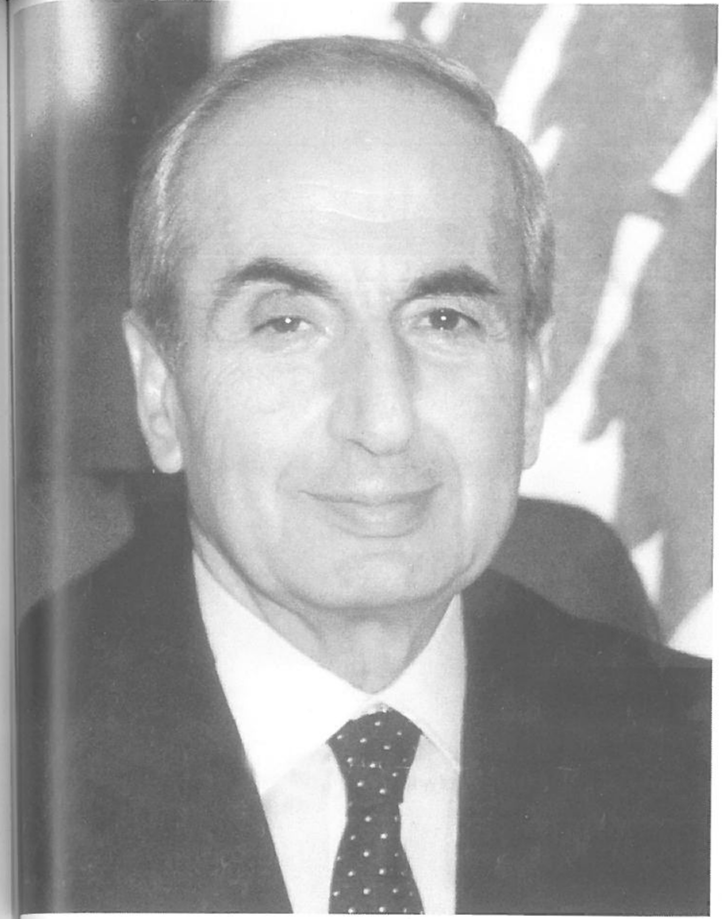




الرئيس معوض يستقبل أعضاء السلك الدبلوماسي



مغادراً القصر الحكومي قبل دقائق من الانفجار



فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية

الأستاذ رينه معوض

شهيد وحدة لبنان

أحبوه ورافقوه



المقدم الشهيد
جوزيف نجيب رميا



الشهيد
رينه إميل كعدو معوض



العريف الشهيد
بسام الياس نورا



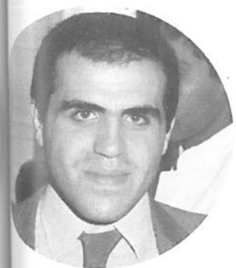
الشهيد
جورج خوند



الشهيد
أسعد أنور معوض



الشهيد
يوسف أنطوان باشا



الشهيد
يعقوب السقال معوض

اليوم السادس

الجمعة ١٠ تشرين الثاني

في الصباح الباكر قاد الرائد محمود الجمل قوة عسكرية لتفتيش السراي الكبير مجدداً حيث سيستكمل الرئيس مشاوراته السياسية.

وانصرف المقدم فايز رحال الى تحضير خط سير الموكب الرئاسي الى السراي وكما في الأمس فقد أخلى كلياً الطرق اللازمة مانعاً مرور وتوقف السيارات فيها.

وفي هذا الصباح أيضاً كلفنا فرقة من الجيش مراقبة وتفتيش الطوابق تحت الأرضية في المباني المجاورة عند الساعة الثامنة من كل مساء. وكانت لوائح أسماء المقيمين في هذه الأبنية قد رتبت ولم يكن هناك أي شقة خالية أو غير مأهولة، فبتنا نعرف بالتفصيل أسماء سكان هذه المباني المجاورة وحتى المقيمين في فندق البوريفاج. كما وضعنا مركز حراسة مع فرقة أمام المبنى الذي يقطنه مائة وعشرة فلسطينيين لمراقبة حركة الدخول والخروج فيه.

عند الساعة العاشرة وصل الرئيس معوض بمواكبة الجيش وقوى الدرك والرائد في المخابرات السورية جامع الجامع الذي يسير دائماً في طليعة الموكب، الى السراي لاستئناف مشاوراته البرلمانية على مدى اربع ساعات. وكانت المحاور المؤدية اليه قد أخليت وقطع السير فيها حتى عودته الى المقر المؤقت.

لدى عودته الى المقر في حوالى الساعة الواحدة بعد الظهر لاحظ الرئيس وجود بعض أشخاص من آل معوض حضروا الى المقر وليس لديهم عمل

يقومون به. فطلب الي أن أفهم بلباقة أبناء العائلة جميعاً أن المقر الرئاسي هو مكان عمل للدولة وليس ملكاً خاصاً للزيارات الخاصة. وأشار علي بفتح مكتب في زغرتا يفتح أبوابه لتلقي الطلبات من جميع أبناء الشمال ويساعدهم في حل مشاكلهم، على ألا يحضروا الى المقر لأنه ليس قادراً على استقبالهم لأن وقته ثمين ومهمته صعبة. أما الذين يصرون على مقابلته شخصياً فعليهم انتظار ذهابه الى اهدن أو زغرتا حيث هو مستعد للقائهم بكل طيبة خاطر.

في الرابعة بعد الظهر استقبل الرئيس السفير الفرنسي في بيروت رينه آلا، مكلفاً من الحكومة الفرنسية استطلاع الموقف ليرى كيف يمكن التوصل الى تفاهم سلمي بين الرئيس معوض والعماد عون يجنب لبنان خطر التقسيم. وكان السفير آلا قد سبق واتصل بالبطريرك صفير في الديمان لينقل اليه أسف الحكومة الفرنسية لما حدث في بكركي.

في هذا الوقت قام الرئيس السابق شارل حلو والأباتي بولس نعمان بزيارة الى الرئيس سليمان فرنجية في زغرتا، وعقدا معه اجتماعاً استغرق ثلاث ساعات بحضور رجل الأعمال ميلاد الغزال معوض وهو رجل ثقة بالنسبة الى الرئيس معوض. وفي الواقع أن الرئيس معوض كان يفضل حصول حوار غير مباشر مع عون عبر الرئيس فرنجية الذي يمكن أن يشكل ضمانة شريفة وموثوقة يمكن أن تحمي ظهره.

في هذا اليوم أعلنت تركيا دعمها الرئيس المنتخب رينه معوض، اما رئيس مجلس النواب العراقي الذي كان في زيارة الى الكويت فقد أعلن دعم بلاده العماد عون في رفضه الاعتراف بانتخاب الرئيس معوض(٤).

في المساء عقد اجتماع في منزل نبيه بري شارك فيه وليد جنبلاط والأمين العام لحزب الله الشيخ صبحي الطفيلي ورئيس حركة التوحيد الاسلامية الشيخ سعيد شعبان، صرح على أثره الشيخان شعبان والطفيلي بأن هناك مؤامرة اسرائيلية لتقسيم لبنان وإنشاء دولة مارونية متصهينة.

في كل مساء كان الرئيس معوض يكتب بنفسه رسائل شخصية يبعثها مع موفدين موثوقين الى شخصيات لبنانية وأجنبية في لبنان والخارج.

وعلى الدوام كان جهاز التلفون اليدوي في متناول يده، يتلقى بواسطته مئات

الاتصالات يومياً، وكان يحفظ أرقام الهاتف المحلية والدولية عن ظهر قلب دونما حاجة الى مفكرة الأرقام. ولسوء الحظ أنه لم يكن الهاتف الخلوي معروفاً بعد في تلك الأيام، لكان احب هذه التقنية لو استخدمها لأنه كان يهتم كثيراً بكل ما يتعلق بالاتصالات بمختلف أنواعها. لكنه كان يستخدم الهاتف الدولي بواسطة القمر الصناعي «ايمرسات» لاجراء اتصالاته بالخارج. وفي ذاك المساء اجرى اتصالاً هاتفياً بالملك السعودي فهد دام عشر دقائق، ولم يقل شيئاً حول هذا الاتصال لكنه بدا مبتسماً وفرحاً. وفي الساعة الثامنة مساء جلس أمام التلفزيون يستمع بنفسه، على عادته، الى نشرات الأخبار على مختلف القنوات. لقد فهم تماماً سلطة وسائل الاعلام على الجماهير اللبنانية واعترف صراحة بقوة ونجاح العماد ميشال عون في هذا المجال.

وحوالى الساعة العاشرة، أبلغنا الحرس على المدخل الرئيسي بوصول العميد غازي كنعان من دون موعد سابق، يرافقه العقيد علي حمود.

استقبلهم الرئيس بكل حرارة في مكتبه، وبعد عشرين دقيقة استدعاني ليسألني إن كان لدي ما أقوله أو ما أطلبه منهما. كانت المرة الأولى التي ألتقي فيها العميد كنعان، فاطلعته على ما يساورني من قلق حول أمن الرئيس مصارحاً إياه بأنني قادر على حمايته فقط داخل المقر، ممن قد يحاول الاعتداء عليه من قرب، لكنني خارج هذا المبنى لا أستطيع فعل أي شيء. فأجابني العميد كنعان بالكثير من الثقة والتهذيب: «لا تقلق سنتولى حماية الرئيس رينه معوض تماماً كما نحمي الرئيس حافظ الأسد»، ثم غادرا حوالى الساعة الحادية عشرة متمنين التوفيق للرئيس.

أجمل اللحظات بالنسبة الي كانت في الصباح الباكر او في آخر الليل حيث كانت تتوفر لي الخلوة بالرئيس، وخصوصاً في الصباح الباكر لأن السيدة الأولى لم تكن تستيقظ باكراً.

لا شك أن كل الذين عرفوا رينه معوض من قبل ورافقوه في هذه المرحلة قد لاحظوا بعض التغير في سلوكه. فقد بدا واثقاً جداً من نفسه وأكثر ثقة في الناس المحيطين به، مقتنعاً بما يقوم به وواثقاً مائة في المائة من قدرته على انقاذ لبنان. صار يتخذ القرارات الصعبة بسرعة وبدون تردد، وكان مقتنعاً تماماً بأن الحرب

قد انتهت. أظهر شجاعة فائقة فما من شيء كان يخيفه. ولذلك بدا مستعجلاً الأمور وكأنه لم يعد عنده الوقت الكافي ليحفر الجبل بابرة كما كان يفعل من قبل، فحاول اللجوء الى الوسائل الكبرى لانقاذ البلاد، بعد ان أصبح هو الرجل الأول فيها وهو الذي يقود اللعبة، فطالما انتظر كي يتولى هذه المسؤولية. لكن وللأسف لقد بلغها في الأوقات الأكثر صعوبة.

وحوالى منتصف الليل كنت أقدم اليه تقريراً عن نهارنا، وهو دائم الابتسامة والروح المرحة. كان احد الصحافيين قد كتب في ذلك النهار أن اتفاق الطائف سيؤدي الى توطين الفلسطينيين المتواجدين في لبنان. فسألته عما ينويه في هذا المجال. فأكد لي مجدداً ان مؤتمراً للسلام سينعقد خلال سنة، كحد أقصى، وأن حل القضية الفلسطينية سيكون عبر الحل السلمي النهائي بين العرب واسرائيل، وانه من جهته يرى ان لبنان بلد صغير لا يمكنه منح الفلسطينيين الجنسية اللبنانية. فقسم منهم سيعود الى فلسطين وقسم آخر سيوزع على الدول العربية وغيرها من دول العالم، والذين يبقون سيمنحون إقامات وإجازات عمل وفق خطة لاستيعابهم على المدى الطويل، ربما خلال خمسين سنة. وهو آمن أن الجنسية اللبنانية هي مثل العملة النادرة، وأن الشعب اللبناني بعديده القليل يتناسب مع حجم لبنان الجغرافي. ومما كان يقوله انه لا يمكن التلاعب بالجنسية اللبنانية وهذا ما لا يجب المس به. ثم اعطاني مثلاً عن مرسوم التجنيس الذي وقع في نهاية عهد الرئيس فرنجية والمرسوم الآخر في نهاية عهد الرئيس سركيس، فكلاهما لم يطل الا أسماء معدودة فقط، من المثقفين والفنانين ورجال العلم وأحياناً من رجال أعمال خدموا لبنان كثيراً على مدى سنوات طويلة. وقد منحتهم الدولة الجنسية عرفاناً بالجميل وكمكافأة نبيلة. وها انا اليوم أحسده كثيراً على كونه فارق هذه الدنيا دون أن يعلم بهذه «القنبلة الذرية» التي فجرت في لبنان في ٢٠ حزيران عام ١٩٩٤ مع توقيع المرسوم الجمهوري الرقم ٥٢٤٧ الذي منح الجنسية اللبنانية الى ٨٨٠٠٠ شخص قد يصبحون ٨٨٠٠٠ عائلة، دون أن ننسى اللاجئين الفلسطينيين الذين قد يبلغون قريباً خمسمائة الف.

في الواحدة والنصف صباحاً وصل الى المقر الوزير السابق ميشال المر، طالباً مقابلة الرئيس لابلاغه رسالة طارئة. كان الرئيس قد نام فايقظته ابنته ريما ليجتمع

به مدة نصف ساعة، وفيه تمنى الوزير المرّ على الرئيس معوض الانتقال الى الطوابق السفلى لأن لديه معلومات تشير الى احتمال قصف الطابقين العلويين من الجهة الجنوبية الشرقية من جانب جماعة أبو عمار (ياسر عرفات).

اليوم السابع
السبت ١١ تشرين الثاني

استيقظت قبيل الخامسة صباحاً، دخلت المطبخ لأعد القهوة لأنه لم يكن الخدم قد حضروا في مثل هذه الساعة. لم اكن أشعر بتاتاً بحاجة الى النوم بسبب القلق والمخاوف التي لازمتني في تلك المرحلة.

عدت الى الصالون فوجدت الرئيس يستمع الى أخبار الاذاعات قائماً بجولة الأفق العالمية كالعادة. هو أيضاً لم يكن يستطيع النوم، كان على عجلة من أمره ولم يكن يريد ان يخسر أي ثانية فالوقت ثمين وهو اراد استغلاله الى أقصى حد.

بدا مرتاحاً وراح يسخر من قهوتي المعدة بشكل سيئ والتي تشبه برأيه عصير (زوم) الزيتون. أكد لي في تلك الصبيحة أنه ضمن، منذ اتفاق الطائف، الحصول على مبلغ خمسة مليارات دولار لإعادة بناء لبنان. فنظرت اليه معتقداً انه يحاول أن يرفع من معنوياتي. فدلني الى جيب بنطلونه الصغير في إشارة منه الى ثقته الكبرى في تأمين هذا المال. فالملك فهد بن عبد العزيز بنفسه وعده بهذا المبلغ، وقد اعتبر هذا الوعد مقدساً وأصبح الحصول على هذا المال من باب تحصيل الحاصل. ومن يعرف رينه معوض يعرف تماماً كم هو يحترم كلامه، فاذا كان يملك مبلغاً ما لا يصرح الا بنصفه كي يترك لنفسه هامش أمان.

وفي حالة الارتياح هذه تابع حديثه معدداً لي أولئك الذين عارضوا وصوله الى سدة الرئاسة. فأوضح لي ان الرئيس حافظ الأسد عارض في البداية اتفاق الطائف، لكن الملك فهد نجح في اقناعه بعد الحاق تعديلات بهذا الاتفاق كما طالب الرئيس الأسد وبعد ان أكد له أنه سيساعده اقتصادياً عبر تنفيذ مشاريع إنماء

وإعادة بناء في سوريا. واخبرني أنه خلال إقامته في باريس، عند عودته من الطائف وقبل أسبوع من الانتخابات الرئاسية، حضر بطائرة خاصة الى سوريا في زيارة سرية للرئيس الأسد، وأن زيارته هذه تكللت بالنجاح إذ دام الاجتماع خمس ساعات وخرج منه واثقاً ومتأكداً من دعم هذا الأخير المطلق له.

وتابع يخبرني ان السيد رفيق الحريري والسفير جوني عبدو والنائب الياس الهراوي كانوا ضد وصوله الى الرئاسة إضافة الى النواب الذين يدورون في فلك العماد ميشال عون، مثل بيار دكاش مثلاً. وحدثني عن عشرات رجال الأعمال اللبنانيين الذين وظفوا علاقاتهم في أوروبا وأميركا لمحاربة اتفاق الطائف ما قبل عقده وما بعد، كما انهم دعموا العماد عون مالياً. وأعطاني على سبيل المثال اسمين هما عصام فارس وجيلبير شاغوري. وهذا الأخير كان صديقاً له وقد اتصل به مؤخراً وهنأه، فطلب اليه الرئيس أن يبذل جهده لاقناع عون بالتجاوب والتعاون. ثم طمأنني كلياً الى أنه سينسى الماضي في ما خص جميع هؤلاء الذين ذكرهم، وانه كونه الآن أباً لجميع اللبنانيين سيمد يده اليهم جميعاً، لبنانيين ولبنانيات ومن ضمنهم العماد ميشال عون، فهناك مكان في الدولة لجميع من يرغبون في إعادة بناء البلاد. وفي ما خص السيد رفيق الحريري كان الرئيس معوض يريد تعيينه رئيساً لمجلس الانماء والاعمار، وكان السيد رفيق الحريري سعيداً بالاضطلاع بهذا العمل بعد ان تمنى عليه فقط أن يكون مجلس الانماء والاعمار مرتبطاً مباشرة برئيس الجمهورية الماروني وليس برئيس الوزراء السني.

أما في ما يتعلق بالسفير جوني عبدو فان الرئيس كان يقدر كثيراً ذكاءه وحنكته، وأراد الاستفادة منه في المجالين السياسي والديبلوماسي.

أما النائب الياس الهراوي فقد بيّن لي أنه يحبه كثيراً وأن الصداقة توطدت بينهما خلال حرب التحرير التي قام بها ميشال عون، إذ كانا يلتقيان باستمرار كونهما كانا يقيمان في الحي نفسه. وقد قال لي حرفياً: «عندما يطلب الياس بك خدمة عليك أن تهتم به شخصياً إذا لم أكن موجوداً وأن تلبي كل ما يحتاجه، وحذار الخطأ معه.»

في الثامنة صباحاً حضر العميد نبيه فرحات ليقدم كالعادة التقرير الصباحي

للرئيس، وفي التاسعة عرج الفضل شلق لزيارة الرئيس موفداً من السيد رفيق الحريري لكي يتأكد أن كل شيء على ما يرام في المبنى وأنه لا ينقصنا شيء.

وحضر المقدم مارون معوض من المنطقة الشرقية للبقاء بجانب الرئيس، أمضى فقط أربعة وعشرين ساعة في المقر ذاك أن الرئيس طلب اليه العودة الى وزارة الدفاع في اليرزة لأنه يحتاجه هناك أكثر من هنا، وكان الرئيس على اتصال دائم بجميع الضباط الزغرتاويين المتواجدين في المنطقة الشرقية في إمرة العماد عون، وقد أراد ان يلازموا مراكزهم لأنه قدر انه لن يتأخر في الانتقال الى القصر الجمهوري في بعبدا. ومنهم من كان ينام في منزل الرئيس في الحازمية بهدف حمايته وهم المقدم لوسيان المكاري والمقدم مارون معوض والملازم أول بدوي السقال معوض والملازم أول رينه ألبير معوض.

أما الرائد ريمون معلوف فكان يمر دائما لزيارتنا في المقر، آتياً من الشرقية، وقد وضع نفسه في تصرف الرئيس بصفته الشخصية وكموفد من قبل السفير جوني عبدو. وفي العاشرة زار العقيد المتقاعد عدنان شعبان الرئيس آتياً من الحازمية، ليضع نفسه في تصرفه.

حوالى الظهر زار الأخضر الابراهيمي الرئيس واجتمع به مدة نصف ساعة قبل سفره الى السعودية للقاء وزير خارجيتها، سعود الفيصل، للتباحث في العوائق التي تعرقل تشكيل الحكومة وخصوصاً في المنطقة الشرقية من بيروت.

وفي ما بعد الظهر دعا نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى الشيخ محمد مهدي شمس الدين الى مأدبة غداء عنده كلاً من الرئيس حسين الحسيني والوزير نبيه بري وعدداً من النواب الشيعة في حضور الشيخ عبد الأمير قبلان، وقد اتفق الجميع فيما بينهم على تسهيل عملية تطبيق اتفاق الطائف.

في القاهرة، وخلال افتتاحه دورة جديدة للبرلمان المصري، أعلن الرئيس حسني مبارك تأييده التام لانتخاب الرئيس معوض. أما في الرياض فقد أعلن الملك فهد أن المصالحة الوطنية في لبنان قد أصبحت أمراً واقعاً وانه مستعد للمساعدة جدياً في إعادة إعمار هذا البلد العزيز عبر تمويل جميع المشاريع الضرورية[٥].

في حوالى الساعة الرابعة حضر النائب الياس الهراوي لمقابلة الرئيس معوض

الذي استدعاني بعد قليل ليقول لي ان الياس بك يطلب منا العمل على استدعاء ونقل صهره فارس بويز الذي كان يقيم في الأشرفية ليجتمع به هنا. فاتصلت على الفور بالعميد أنطوان سعادة، الذي عين لاحقاً قائداً للدرك، وطلبت اليه أن ينتقل بنفسه الى منزل السيد فارس بويز ويرافقه شخصياً بسيارته الى المقر المؤقت.

بعد ربع ساعة اتصل بي العميد سعادة ليبلغني أنه ذهب لرؤية بويز الذي رفض مرافقته الى المنطقة الغربية لملاقاة حميه، فنقلت الرسالة الى النائب الهراوي الذي شكرني وهو يكيل الشتائم لصهره مازحاً بلهجته الزحلاوية.

في المساء دعا الرئيس الى العشاء الوزيرين وليد جنبلاط ومروان حمادة. وصلا حوالى التاسعة وغادرا في ساعة متأخرة، حوالى الواحدة ليلاً. وقد قال لي الوزير وليد جنبلاط حرفياً: «انتبه يا رائد، يجب ان تدعم الملجأ في هذا المبنى وتتدبر الأمر بما أمكن لتجعل منه مكتباً للرئيس. فالحرب لم تنته وستنصبّ الآلاف من القذائف من العماد عون فوق رؤوسكم. إن الرئيس إزاء مهمة خطيرة ينجزها وهي شبه مستحيلة.»

هذه الكلمات هدّت من معنوياتي، وما كان أحوجني الى من يشد عزمي بدلاً من تثبيط الهمة هذا. وفي كل الأحوال كنا قد أعددنا الطابق تحت الأرض بكل الوسائل الضرورية ودعمناه من الجهات الأربعة بأكياس الرمل والمكعبات الاسمنتية.

بعد العشاء تمنيت ليلة طيبة للسيدة الأولى ولكل اولئك السادة المحترمين وذهبت لأنام «على وجهي طب» من الاستياء كما يقال في لبنان.

اليوم الثامن
الأحد ١٢ تشرين الثاني

استيقظت مرتجفاً في سريري وقد أحسست ان يداً تجذبني من كتفي. كان الرئيس معوض بنفسه يوقظني قائلاً انه لا يفترض بالعسكر أن يطيلوا النوم. فنظرت في ساعتي، كانت الساعة السادسة تماماً، قلت إن اليوم الأحد وان الله خالق العالم ارتاح في اليوم السابع. ارتديت ملابسي بسرعة لألحق به الى الصالون أشرب القهوة معه. كان الحلاق شكري يحلق ذقنه فيما هو يمسك الصحيفة بيد وباليد الأخرى يضبط ابرة الراديو ويغير المحطات ليقوم بجولة الأفق الصباحية على اخبار العالم. كما كان الهاتف اليدوي يرن من وقت الى آخر فيضعه الحلاق شكري على أذن الرئيس اليمنى.

بدأ حديثه باخباري أنه كان مستاء جداً في الليلة السابقة لأنهم على تلفزيون ميشال عون خلال نشرة الأخبار المسائية وضعوا صورته بالقرب من العلم السوري، وبدا ناقماً جداً على العقيد غابي أرصوني مسؤول الاعلام عند عون وهو يعرفه جيداً من أيام الرئيسين سليمان فرنجية والياس سركيس، حيث عمل مرافقا عسكرياً لهما. ولكي أخفف عليه الأمر قلت له: «في رأيك هل يمكن للعقيد أرصوني ان يرفض تنفيذ أوامر الجنرال قائده»؟

تابع قائلاً إنه أحب الجيش اللبناني ودافع عنه طوال حياته، منذ زمن الجنرال فؤاد شهاب، ويوم احتاج هذا الجيش وجده منقسماً وغير مستعد لحمايته.

أحب بيروت كثيراً ولم يشعر أبداً انه في مكان غريب وهو يقيم هناك. لكنه لم يكن واثقاً كثيراً من أجهزة الأمن المتواجدة فيها خصوصاً بعد ان أبلغه بعض

المسؤولين اللبنانيين والسوريين أن مختلف قوات الجيش اللبناني والأمن الداخلي المتواجدة في الغربية مخترقة من أجهزة عون وحزب الله وياسر عرفات. ويجب أن يتخذ جانب الحذر منهم، وهو من ذلك كله في حال صراع مع الذات لأنه لا يملك خياراً آخر.

كان احد الصحافيين قد ارسل لي نسخة عن شريط الفيديو صورت فيه الحوادث التي وقعت في بكركي ليلة الخامس من تشرين الثاني. فسألت الرئيس إن كان يرغب في مشاهدة أمر مرعب وشغلت الشريط في آلة الفيديو، وإذ شاهد الصور أحسست ان قلبه سيتوقف وطلب الي أن اوقف الشريط لأنه لا يستطيع متابعة المشاهدة. فبالنسبة اليه كان هذا عملاً جباناً، لا أخلاقية فيه ولا مبدأ، وهو مما يدمر القيم الانسانية.

كان يوم الأحد هذا يوماً هادئاً في المقر استقبل فيه الرئيس وقرينته بعض الاصدقاء والأقارب في الصالون الخاص في الطابق السادس، وقد تناولوا جميعاً طعام الغداء معاً خادمين انفسهم بأنفسهم، ولم يغادر زوارهم الا عند الساعة السادسة مساء.

في السابعة مساء، استدعى الرئيس المدير العام هشام الشعار وطلب اليه أن يعد المراسيم الجمهورية لتكليف سليم الحص رئاسة الوزراء وأن يكون جاهزاً في الثامنة من الغد في السراي الكبير. كما طلب الى السفيرين عمر مسيكة وعاصم جابر التحضير، بالتنسيق مع جورج قاصوف الخبير في شؤون البروتوكول اللبناني والدولي، لاجراءات الاستقبالات البروتوكولية الخاصة بالسفراء الأجانب المعتمدين في لبنان والذين كان سيستقبلهم في اليوم التالي في السراي. اما الخطاب الذي اراد القاءه في هذه المناسبة فقد اعده في المساء بنفسه مع عاصم جابر وعمر مسيكة وعبد الله معوض. وكان عازماً ان يركز في هذا اللقاء على القائم بالأعمال العراقي وعلى السفير البابوي وعلى سفير فرنسا، على ان يحاول الاختلاء بكل منهم على انفراد بعد الاجتماع العام بغية اقناعهم بمشروعه السلمي، بعد ان كانت بلدانهم قد أيدت العماد عون. ولم يكن متأكداً من أن الديبلوماسي العراقي سيحضر مع سائر الديبلوماسيين الأجانب، فاتصل بالسفير المصري حسن شاش كي يشجع هذا الأخير على الحضور.

في المساء بدا غارقاً في التفكير ومتضايقاً، فتشكيل الحكومة ما يزال يتأخر بسبب بعض العوائق التي تحول دونه، وكان ينتظر اتصالاً من السعودية وآخر من دمشق قبل أن يعلن في اليوم التالي تعيين سليم الحص رئيساً للحكومة الأولى في عهده، فكما ذكرت سابقاً كان الرئيس قد أكد لي من قبل أن رئيس حكومته هو الحص. وكان يشدد على تشكيل حكومة من أربعة عشر وزيراً فقط، بعد ان أجرى حساباته استناداً الى خبرته السياسية السابقة، فانتهى الى ان حكومة من أربعة عشر وزيراً هي بالنسبة اليه فعالة أكثر، يسهل عملها في إطار الفريق المتجانس والمنتج وتوفر عليه استياء الكثير من الأحزاب السياسية.

أربع وزارات كانت هي الأهم بالنسبة اليه وهي الأساسية: الدفاع والداخلية والمالية والخارجية. وقد تم الاتفاق في الطائف على ان توزع هذه الوزارات بالتساوي بين المسيحيين والمسلمين. ولقد أراد الرئيس ان يختار مع رئيس وزرائه هؤلاء الوزراء الأربعة على اساس أنهم يشكلون فريق عملهما الاساسي. وقد أوكل الي في هذا المساء أن أقوم بدراسة عن كبار الضباط المؤهلين لتولي قيادة الجيش ليرى من يختار لهذا المركز، مشدداً على أن يكون ضابطاً يتحلى بالنزاهة والشجاعة وقادراً على توحيد الجيش على المبادئ الوطنية اللبنانية دون أن يكون متورطاً مع الميليشيات المسيحية ولا الاسلامية. وليلاً أراد التحدث في موضوع القضاء في لبنان، فاخبرني أنه يعرف شخصياً العديد من القضاة اللبنانيين المؤهلين والشرفاء. وقد أراد أن يشجع على قيام جسم قضائي حر ومستقل عن السلطات التنفيذية إذ كان يرى أن القضاء هو بأهمية الأمن، هو الذي يحمي القطاع الخاص ويشجع على قيام الاستثمارات، وهو بالنسبة اليه دعوة مقدسة يجب فصلها وابعادها عن السياسة.

ومن صلب مشروعه الوصول الى نظام للسلطة غير مشخصن، يعتمد على المؤسسات وليس على الأشخاص، عاملاً على بلوغ اللامركزية الادارية بأسرع ما يمكن مما يسهل على المواطنين اللبنانيين إنجاز معاملاتهم الادارية الضرورية في المناطق التي يقيمون فيها.

حوالى الواحدة صباحاً دخل الرئيس للنوم، فلجأت بدوري الى غرفتي أتامل في كل هذه الأحلام التي حدثني عنها، وكلي أمل في أن تصبح حقيقة ملموسة.

اليوم التاسع
الاثنين ١٣ تشرين الثاني

في السادسة صباحا كان ضباط الجيش والدرك قد اتخذوا جميع الاجراءات الأمنية اللازمة في السراي الكبير كما على خط سير الموكب الرئاسي.

في السابعة وصل الى المكان المقدم جوزف رميا والرائد وفيق شقير كلاهما للقيام بأعمال التفتيش ووضع اللمسات الأخيرة.

في التاسعة تماماً غادر الموكب الرئاسي المقر المؤقت ليصل الى القصر الحكومي بعد أربع دقائق فقط. فاجتمع الرئيس على الفور بالرئيس حسين الحسيني ليبلغه رسمياً نتائج الاستشارات البرلمانية لاختيار رئيس الوزراء. بعدها استقبل الرئيس معوض سليم الحص ليبلغه رسمياً تكليفه تشكيل الحكومة الأولى بعد ان وقع المراسيم الجمهورية. في الحادية عشرة دخل الرئيس معوض ورئيس وزرائه جنباً الى جنب الصالة الرئيسية حيث كان ينتظرهم السفراء الأجانب المعتمدون في لبنان وذلك بحضور الأخضر الابراهيمي الذي كان عاد لتوه من السعودية. فاطلعهم على تعيين الحص رسمياً رئيساً للحكومة، ثم القى فيهم الخطاب الآتي:

«**صاحب السعادة، عميد السلك الديبلوماسي،**
صاحب السعادة ممثل اللجنة العربية العليا،
أصحاب السعادة السفراء ورؤساء البعثات الدبلوماسية،
يسعدني أن أرحب بكم اليوم، في أول لقاء بيننا، بعد ارتقائي سدة رئاسة

الجمهورية، مستهلاً مرحلة تاريخية تطل على لبنان حاملة اليه تباشير الوفاق والسلام ونهاية آلام شعبنا ومعاناته التي طال أمدها.

وإني إذ أقدر بقاءكم معنا وبيننا في أشد أيام أزمتنا المأساوية التي لم ترحم حتى أعضاء السلك الديبلوماسي، أنحني امام ضحايا هذا السلك التي سقطت خلال قيامها بالواجب.

إني أتقدم بالشكر من دولكم جميعاً، رؤساء وحكومات وشعوباً، ومن المؤسسات الدولية والاقليمية، التي دعمت قضيتنا بقرارات ومواقف وبيانات، وأخص بالذكر الدول العربية الشقيقة واصحاب الجلالة والفخامة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود والملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد، أعضاء اللجنة العربية العليا التي رعت اجتماعات الطائف، واصحاب المعالي أعضاء اللجنة العربية الوزارية وممثلها السفير السيد الأخضر الابراهيمي، تلك الاجتماعات التي تكللت بوفاق وطني جسدته وثيقة سياسية متكاملة كان للمساعدة التي قدمتها الشقيقة سوريا، بدعمها وحدة لبنان ومؤسساته، مساهمة فعّالة في تحقيقه.

إننا نعتبر وثيقة الوفاق الوطني مدخلاً الى السلام ومنطلقاً لجمهورية جديدة، تقوم على المؤسسات والمشاركة المتكافئة في المسؤولية، حيث يتأكد فيها الانتماء العربي والولاء للوطن، وتتحقق وحدة الشعب وسيادة الدولة وسلطتها الشرعية بقواها الذاتية على كامل الأراضي اللبنانية.

وإن لي ملء الثقة أن لبنان يستطيع أن يعول على مساعدة دولكم في المرحلة المقبلة لتحقيق هذه الأهداف التي أنذر نفسي لها ضمن حدود صلاحياتي الدستورية ومسؤولياتي الوطنية. وبهذه المناسبة أناشد المجتمع الدولي العمل الجدي لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ والقرارات اللاحقة به والمتعلقة بتحرير الجنوب والبقاع الغربي.

« **أصحاب السعادة،**

انطلاقاً من التأييد والدعم العربي والدولي الذي لقيه انتخابي، وانطلاقاً من روح وثيقة الوفاق الوطني، أكرر بحضوركم ما قلته في خطاب القسم، فادعو

مجدداً وبإلحاح وإخلاص كل اللبنانيين، أينما كانوا ولا أستثني أحداً، أدعوهم للانضمام الى مسيرة السلام لنبني لبنان معاً بتوحيده شعباً وارضاً ومؤسسات.

ومن اجل الإسراع في تحقيق ذلك فقد أنجزنا الاستشارات النيابية لتشكيل الحكومة الجديدة، وكلّفنا، صباح هذا اليوم، دولة الرئيس الدكتور سليم الحص القيام بهذه المهمة.

إنه عهد اقطعه اليوم على نفسي أمام العالم بأسره لترسيخ وحدة لبنان وسيادته وإعادة بناء مؤسسات الدولة على أسس حديثة متطورة في إطار العدل والمساواة بين جميع اللبنانيين.

عاش لبنان».

في الساعة الواحدة عاد الرئيس الى المقر، وبدا مرتاحاً لأنه أنجز الخطوة الأولى بتعيين رئيس الوزراء. ثم انه أمكنه التحادث مع القائم بالأعمال العراقي حكمت خضير الذي أبدى الكثير من الاحترام والصراحة تجاهه. أساسا كان حضور خضير بين السفراء الأجانب نوعاً من الاعتراف الرسمي العراقي بالرئيس معوض. كما ان الرئيس سمع كلاماً طيباً من السفير البابوي بابلو بوانتي ومن السفير الفرنسي رينه آلا، وقد تقرر أن يقدم الاثنان أوراق اعتمادهما للرئيس معوض في الاسبوع التالي ليوم عيد الاستقلال.

في هذا اليوم تباحث الملك فهد في العوائق التي تعترض تنفيذ اتفاق الطائف في اتصال له مع ملك المغرب الحسن الثاني والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد، وقد اتفق الثلاثة، على مواصلة بذل الجهود من اجل توطيد الأمن والسلام في لبنان (٦).

إثر تعيين الرئيس الحص أيدت الولايات المتحدة الأميركية هذا الحدث معلنة عن ارتياحها للتعاون معه ومع حكومته. غير أن العماد عون صرح أن هذا التعيين غير شرعي، مثل انتخاب الرئيس معوض، كما أعلن أن على المسيحيين الذين يشاركون في الحكومة المقبلة أن يغادروا فوراً المنطقة الخاضعة لسيطرته. كما قال أنه مستعد للتفاوض مع معوض فقط في موضوع انسحاب القوات السورية من لبنان.

وكان رئيس حزب الكتائب جورج سعادة قد دعا الى اجتماع المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب في ميفوق في جرود جبيل رافضاً الذهاب الى المنطقة الشرقية . وفي المساء زار الرئيس شارل حلو والأباتي بولس نعمان العماد عون في بعبدا على أن ينتقلا في اليوم التالي الى الديمان للاجتماع بالبطريرك نصر الله صفير بغية مواصلة جهودهما الشخصية للتوصل الى مصالحة او اقله الى تفاهم .

وفي هذه الليلة دعا الرئيس الى العشاء السفير الأخضر الابراهيمي الذي وصل الى المقر في الساعة التاسعة وغادر حوالى منتصف الليل . فتدارسا المراحل التي أنجزت لترسيخ وثيقة الطائف . وقد اطلع الابراهيمي الرئيس على نتائج زيارته الى السعودية . لقد احب الرئيس معوض الابراهيمي وأبدى له احتراماً زائداً هو الذي كان يصل دائماً بابتسامته الحلوة وطبعه الهادئ . وقد توطدت عرى الصداقة بين الرجلين وقد كان بينهما الكثير من القواسم المشتركة اهمها هدوء الشخصية والنفس الطويل الذي يبقي الأمل قائماً في الحلول السلمية بالرغم من العوائق التي لا يمكن تصورها . وانا أعتقد ان بامكان الابراهيمي ان يحفر الجبل بابرة .

اليوم العاشر
الثلاثاء ١٤ تشرين الثاني

في السابعة والنصف صباحاً استقبل الرئيس الوزير السابق فؤاد بطرس . كانت هذه زيارته الثانية له في المقر المؤقت ، ما عدا الاتصالات الهاتفية العديدة فيما بينهما . كان يحضر ببساطة وبدون ضجة ودون المرور بمندوبي وسائل الاعلام . وكان الرئيس معوض يكن احتراماً وتقديراً خاصين للوزير بطرس ، وكان بينهما الكثير من القواسم المشتركة اذكر منها على سبيل المثال الجدية في معالجة الأمور ودراسة الحلول بشكل معمق قبل اتخاذ القرار واحترامهما العميق للقيم الانسانية وإيمانهما الفعلي بالعدالة الاجتماعية وبالحريات . كانا عروبيين بكل معنى الكلمة بالرغم من تربيتهما الأوروبية وانفتاحهما على الغرب . وحب الحوار والمصالحة يجري في عروقهما ، وفي حين ان الكثيرين ادعوا زوراً الانتماء الى الشهابية فانهما كانا شهابيين حقيقيين .

حاول الرئيس معوض أن يعيّن فؤاد بطرس وزير دولة للشؤون الخارجية لأنه كان يعرف أنه سيواجه صعوبة كبيرة في تعيينه وزيراً أصيلاً للخارجية .

عند الظهر ابلغني الرئيس أنه علي التوجه غداً الى ميفوق للاجتماع بمسؤولين عن القوات اللبنانية للتشاور معهم في الطريقة التي تساعدنا في دخول المنطقة الشرقية من بيروت . وقد افهمني أن علي الذهاب عند مسؤول المخابرات السورية في طرابلس الذي سيدبر طريقة وصولي الى ميفوق بحسب الأوامر الصادرة اليه من العميد غازي كنعان .

فمنذ اليوم الأول لانتخاب الرئيس معوض كان هناك العديد من رسل السلام

بينه وبين العماد عون، منهم المدنيون ومنهم العسكريون. ويمكن ان أذكر منهم رجل الأعمال ميلاد الغزال معوض والأباتي بولس نعمان والمطران رولان أبو جودة والمحامي شاكر ابو سليمان، وكثيرون آخرون أعجز عن ذكرهم الآن وخصوصاً الضباط الكثر من الجيش اللبناني. وكانت رسالة الرئيس معوض الى عون هي ان يعترف بوثيقة الطائف لوقف حمام الدم على ان يكون مكانه محفوظاً في الحكم. وكان العماد عون يعلم تماماً ان الرئيس معوض محبوب جداً في أوساط غالبية ضباط الجيش اللبناني الذين يعرفونه شخصياً. وفي الحقيقة ان قسماً كبيراً من الضباط الذين عرفوا بالعونيين كانوا قد اتصلوا بالرئيس معوض بطريقة مباشرة او غير مباشرة طالبين اليه حل الامور بروية معبرين له عن حبهم وتأييدهم وواعدين حتى بممارسة ضغوط على العماد عون لمصلحته، حتى أن ضباطاً كباراً حضروا سراً مرات عديدة في الليل لمقابلة الرئيس في المقر، او أنهم أوفدوا زوجاتهم أو بعض الرسل المدنيين لابلاغ الرئيس دعمهم إياه.

وانا بنفسي انتقلت مرتين سراً خلال الليل الى المنطقة الشرقية من بيروت لأجتمع بضباط من أصدقائي محاولاً اقناعهم بإيجاد حل سلمي يسهل وصول الرئيس معوض الى قصر بعبدا قبل أن يفوت الأوان على الجميع.

في هذا اليوم قام الرئيس الحص بالزيارات البروتوكولية لرؤساء الوزراء السابقين وبدأ استشاراته النيابية.

وكان الرئيس قد استقبل في المقر في بحر الاسبوع بشكل منفرد كلاً من السياسيين: رياض رعد وعبد الله الأمين ومحسن دلول وعاصم قانصوه وايلي حبيقة والنائب البير منصور، ومنهم من زاره واجتمع به غير مرة.

في واشنطن استفاد الرئيس الأميركي جورج بوش من فرصة اجتماعه بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي في البيت الأبيض ليؤكد دعمه اتفاق الطائف والرئيس رينه معوض[٧].

في باريس صرح مصدر مسؤول في وزارة الخارجية ان الحالة المعروفة بحالة «عون» قد أصبحت انتحارية بالرغم من كل الاحترام الذي تكنه فرنسا لمبادئ عون في ما خص حرية لبنان واستقلاله. وقد طلب هذا المصدر الى العماد عون أن يسهل مهمة الرئيس معوض كي يحرره من القبضة السورية وكي لا يعطي

دمشق ذريعة لزيادة نفوذها السياسي والعسكري في لبنان. وتابع المصدر يقول انه بالنسبة الى فرنسا فان الرئيس معوض يمثل الشرعية اللبنانية ويجب مساعدته لتحقيق سلام لبناني وليس سورياً. كما أكد ان السفير رينه آلا سيقدم أوراق اعتماده للرئيس معوض بعد تشكيل الحكومة[٧].

في موسكو وإثر الزيارة الرسمية التي قام بها وزير الخارجية الفرنسي رولان دوما وتباحث خلالها مع نظيره الروسي أدوار شيفارنادزي، صدر بيان مشترك ورد فيه ان فرنسا وروسيا تؤيدان بقوة اتفاق الطائف[٧].

في المساء كان الرئيس يستمع الى نشرات الأخبار حين تلقى اتصالاً هاتفياً من صديق يبلغه أنه يسمع إطلاق نار قوي، فطلب الي الاستعلام عن الأمر، فاتصلت بالعميد نبيه فرحات الذي أوضح لي أن هناك في الحقيقة معركتين مختلفتين. الأولى بين حزب الله وحركة امل في منطقة الضاحية الجنوبية، وفي شارع معوض وحي ماضي والغبيري وحارة حريك في منطقة الشياح. فيما تجري الثانية على محور السوديكو-راس النبع بين قوات المنطقة الشرقية وقوات الغربية.

ولما سمع تقريري هز الرئيس رأسه في إشارة الى أن الأمر تقليدي.

حوالى العاشرة مساء كنت أرتب بعض الملفات في غرفتي حين دخل الرئيس علي دون أن يقرع الباب وكأنه أراد ان يناكفني كالعادة. رأى على مكتبي صورة وشريط تسجيل (كاسيت). وقبل أن يسألني شيئاً أريته الصورة التي كان صحافي صديقي قد ارسلها الي، وهي تمثل حماراً علقت عليه لافتة كتب عليها «رينه معوض»، وقد امتطى الحمار شاب مجهول الهوية مكشوف الوجه بعد ان كانت مجلة الصياد قد نشرت الصورة مخفية وجه الشاب المذكور. عندها مزق الرئيس الصورة قائلاً لي أن الرجل قد يكون مسكيناً لا يدري ماذا يفعل، لكن كيف يسمح مدير مجلة يحترم نفسه بنشر قذارة من هذا النوع؟

أما الشريط فكان يحوي تسجيلاً لأصوات المتظاهرين الذين تجمعوا امام منزله في الحازمية، وهم يهتفون: «يا رينه يا عكروت، عالشرقية ما بتفوت».

وهنا مازحني بقوة ورمى الكاسيت في سلة المهملات، وتركني متمنياً لي نوماً هنيئاً والتوفيق في رحلة الغد.

اليوم الحادي عشر
الأربعاء ١٥ تشرين الثاني

استيقظت في الرابعة والنصف صباحاً وغادرت المقر المؤقت دون أن أرى الرئيس الذي كان ما يزال نائماً. سلكت طريق بيروت- الشوف- بعلبك- الارز- اهدن- زغرتا- طرابلس.

في الثامنة تماماً كنت في مكتب العقيد السوري محمد الشعار في منطقة القبة من طرابلس، حي الأمركان. تعارفنا وقدم لي فنجاناً من القهوة مبدياً الكثير من المودة، كما تناقشنا في الوضع خلال عشرين دقيقة تقريباً.

بعدها استدعى احد ضباطه وأمره بمرافقتي من منطقة القبة حتى آخر الحواجز السورية في أعالي جرود البترون، قبل ان يتركني مشيراً ألى ان حاجز القوات اللبنانية هو على بعد دقيقة من المكان الذي وصلناه. تابعت طريقي حتى وصلت الى الحاجز المقصود حيث كان ينتظرني شاب رافقني الى قرية ميفوق. وبوصولي الى المكان المحدد ترجلت من السيارة لأدخل منزلاً صغيراً قديماً من الطراز اللبناني مبنياً بالحجر والقرميد. كان في الداخل نادر سكر وغسان توما اللذين كنت اعرفهما منذ سنوات، لكنني لم اكن اتوقع ان يكونا هما المعنيين بالتفاوض معي. سلمت عليهما وجلسنا حول طاولة أكثر قدماً من المنزل.

أجرينا جولة أفق في الوضع السياسي والعسكري وقد دونت ما عرضاه من خطة عمل. ثم ابلغاني ان الدكتور سمير جعجع على استعداد لعمل أي شيء يطلب منه مهما كان صعباً للمساعدة على تنفيذ الطائف عموماً وتسهيل مهمة الرئيس معوض خصوصاً. وكان رأيهما ان بالامكان القيام بعملية عسكرية من

جهة البترون توصلنا بسهولة الى جونية لتضييق الطوق على العماد عون كمرحلة أولى، ويمكن تنفيذ هذه العملية بواسطة قوات اللواء السابع المتواجدة في ثكنة البترون تدعمها على خط مواز القوات اللبنانية بكل الوسائل، خصوصاً أن سكان المنطقة التي ستشملها العمليةً هم بأغلبيتهم من الموالين للقوات اللبنانية. عملياً كانت الخطة نفسها التي عرضها علي العقيد محمد الشعار. أخذت كل المعلومات اللازمة واتفقنا على موعد آخر، في الساعة الحادية عشرة من يوم السبت القادم، في المكان نفسه.

ودعتهما حوالى الساعة الواحدة من بعد الظهر متوجهاً الى طرابلس. كان الضابط السوري في انتظاري على حاجز القوات السورية فرافقني مجدداً الى مكتب العقيد الشعار، فحييته شاكراً وعدت الى بيروت من الطريق نفسه. في الساعة الخامسة وصلت الى المقر المؤقت في بيروت واطلعت الرئيس على كل ما جرى معي. لم يكن يحبذ كثيراً فكرة الحل العسكري، بل كان يفضل أن يحل كل شيء بالحوار لكن كان لا بد من التحضير لحلول بديلة تحسباً لفشل المصالحة الوطنية.

في هذا اليوم واصل الرئيس المكلف سليم الحص مشاوراته مع النواب ورؤساء الاحزاب السياسية سعياً الى تشكيل الحكومة. وكان السفير الابراهيمي قد أعطى مقابلة لصحيفة «الوطن» الكويتية نشرتها الصحف اللبنانية. «قال الابراهيمي انه يخشى أن يستقر الوضع القائم إن لم يتحقق تقدم سريع في تشكيل حكومة المصالحة الوطنية في لبنان، كما انه يخشى ان تصل البلاد الى وضع يشبه الوضع في قبرص إذا لم يشارك الأقطاب الموارنة في المنطقة الشرقية في الحكومة الجديدة. فالاعترافات الدولية بشرعية الرؤساء معوض والحسيني والحص ليست كافية. والوضع القبرصي هو خير مثال على ذلك. فالمجتمع الدولي لم يعترف بالقسم التركي من قبرص ومع ذلك ظلت الجزيرة منقسمة الى قسمين. فكان المطلوب حل حالة «عون» سريعاً كي لا تتخذ حجماً اكبر يوماً بعد يوم.»

كان الرئيس يقرأ بنفسه الأخبار الواردة في تقارير وكالات الأنباء اللبنانية والأجنبية التي تصل الى المقر يومياً، ليعود فيقرأ الأخبار نفسها في صحف اليوم

التالي العربية والفرنسية وكأنه لم يكن يريد ان يفوته أي خبر منها. وكانت إحدى وكالات الانباء قد نقلت في هذا المساء أن منظمة جديدة ومجهولة تدعى «منظمة الانتقام العادل» قد أعلنت مسؤوليتها عن خطف الصحافية الأميركية ديبورا فاهرند إضافة الى منير ودانيال سامي وهما من حملة الجنسية الألمانية بذريعة أن تصرفاتهم في لبنان مشبوهة.

في المساء عقد مجلس المطارنة الموارنة اجتماعاً استثنائياً في الديمان برئاسة البطريرك صفير. وقد صدر عن المجلس أنه إذا ظلت مواقف عون، دون تسميته، على حالها من التشبث والتعصب فان هذا قد يقود البلاد الى التقسيم مما يعود بالدمار على لبنان واللبنانيين. وقد رفض المجلس بشكل قاطع كل اقتراحات التقسيم، فالموقف تاريخي وخطير وليس مسموحاً التمسك بالآراء المتصلبة الثابتة وإجبار المواطنين على اتباعها.

في الساعة الثامنة مساء تلقى الرئيس اتصالاً هاتفياً من رئيس حزب الكتائب جورج سعادة، أكد له فيه أنه مستعد للمشاركة في الحكومة بدون اي شرط وبحسب الطريقة التي يراها الرئيس معوض ملائمة. وأبلغه ان سمير جعجع ما يزال متردداً في الانضمام الى الحكومة وان عليه أن يجد طريقة تحثه وتشجعه على ذلك. وقد اتفقا على الالتقاء يوم الأحد في اهدن. كما أبلغه الرئيس أن السفير الأميركي في لبنان جون ماكارثي سيحضر يوم الأحد الى اهدن لتقديم أوراق اعتماده.

في التاسعة والنصف حضر الرئيس الحص للاجتماع به، فعقدا خلوة لمدة نصف ساعة، تناقشا خلالها في جميع العوائق التي تحول دون تشكيل الحكومة. ثم غادر الرئيس الحص حوالى الساعة العاشرة دون ان يصرح للصحافيين. وفي الليل أحسست ان الرئيس متعب شارد وقلق. لقد كان يعرف ماذا يريد وماذا عليه أن يفعل لكن تبين له أن الوضع معقد أكثر مما كان يتوقع. وبالرغم من ذلك احتفظ بإيمانه وأمله لمتابعة مسيرته على طريق السلام.

في هذه الليلة قال لي انه اتخذ قراراً جازماً بالقيام بخمس زيارات الى الخارج بعد تشكيل الحكومة. الأولى الى سوريا والثانية الى السعودية ثم فرنسا فالفاتيكان وأخيراً الولايات المتحدة الأميركية. وقد أراد القيام بها وفق هذا

الترتيب بناء على حساباته السياسية الخاصة التي كانت تتجاوز طاقتي. كانت الليالي تمر عليه طويلة وبطيئة، ولقد كان يفضل أن يكون في قصر بعبدا المألوف لديه منذ ايام الرئيسين سليمان فرنجية والياس سركيس. وكان يدرك تماماً أن الخطر لن يزول عنه طالما لم يحقق المصالحة الوطنية ويصل الى قصر بعبدا.

وعندما كان يعصاه النوم ليلاً كان يشاهد فيلماً على التلفزيون او يجري اتصالات هاتفية باصدقائه في الخارج. ولم يعد يقرأ كثيراً لأنه لم يعد بامكانه عزل نفسه عن المسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقه كي يركز على القراءة.

قليلاً ما ذكرت اللبنانية الأولى نائلة معوض التي كانت الجندي المجهول خلال هذه الفترة العصيبة، فهي كانت حاضرة لخدمته أربعاً وعشرين ساعة على أربع وعشرين، تنفذ كل ما يطلبه منها بحماس لا مثيل له، وقد تحملت الأوقات الصعبة حين كان يتعكر مزاجه بابتسامة لم تكن تفارقها، كما اظهرت شجاعة كبيرة ومعنويات عالية. وكانت تنهض بأعباء السيدة الأولى وربة المنزل والسكرتيرة الشخصية وبنوع خاص كاتمة أسراره.

اليوم الثاني عشر
الخميس ١٦ تشرين الثاني

بدأ الرئيس نشاطه الرسمي في هذا اليوم باستقباله في الساعة التاسعة وفداً عسكرياً من الجيش اللبناني مؤلفاً من حوالى مائة ضابط على رأسهم اللواء سامي الخطيب، حياهم الرئيس جميعاً مسلماً عليهم يداً بيد والقى فيهم خطاباً كان حضّره في العشية مع عبد الله معوض، وتوجه فيه الى جيش واحد موحد، الى الضباط في الشرقية كما في الغربية:

«**حضرة الضباط الكرام،**

«إن لبنان جمهورية ديموقراطية تقوم على حقوق الانسان واحترام الحريات وفي طليعتها حرية الرأي. وأعتقد أن لبنان لا يكون ديموقراطياً الا في جو حرية الفكر والتعبير عنه بما يخدم كرامة الانسان ومنعة الدولة. لذلك، نحن نؤكد هذه الحقيقة ونحرص على ممارسة هذا الحق من دون أي ضغط أو إكراه أو كبت. كونوا عل ثقة، وهذا لزام علي، أنني سأستمر في تعزيز هذا الجيش الى جانب القوى المسلحة الأخرى من درك وأمن عام، وهم جميعاً يشكلون وحدة متكاملة حتى يساهموا مساهمة فاعلة في بسط سلطة الدولة والقانون وحماية النظام في لبنان. لدي هدف - أمانة هو الوفاق الوطني وتوحيد لبنان والصمود في شكل وفي طريقة لا مساومة فيهما، وهما الوقوف أمام كل مشاريع التقسيم والكانتونات وكل ما يشابه ذلك. أنا مع وحدة لبنان بشعبه، بأرضه، بمؤسساته، بمناطقه، وانا مع مشروع الوفاق الوطني ومع مشروع السلم في لبنان، وأنا أيضاً

مع وحدة هذا الجيش، وإني على ثقة بقسم الجندي. ومن خلالكم اناشد الجيش اللبناني بقياداته وأفراده، وأنا على ثقة أنه سيكون أميناً على القسم، قسم الولاء للوطن، قسم الولاء للشرعية. لم يعودنا الجيش اللبناني أن يكون غير ذلك، وأنا على ثقة أن الجيش اللبناني، على ما أعهده من مناقبية، سيكون المثل وسيظل المثل في كل المنطقة التي يكون فيها. لبنان في حاجة الى سواعدكم، لبنان في حاجة الى إرادتكم، لبنان في حاجة الى انضباطيتكم. ومن المؤكد أنكم لن تخيبوا آمال اللبنانيين، والأكيد أن لكم دوراً مهماً في المرحلة المقبلة وحفظ السلام في لبنان للمساعدة على الانصهار الوطني فيه، وأتصور أن الانصهار يبدأ بالمدرسة وبالجيش، وهنا أهمية الجيش وأهمية التربية في لبنان.

في هذا الموضوع نريد جيشاً لديه قضية وطنية، نريد جيشاً للجميع وجيشاً موثوقاً به لدى الجميع، لأنه متى كان يتصرف بالقضية الوطنية، وأعرف ولاءه للبنان وللشرعية، يكون الجيش عند آمالنا، عند اقتناعاتنا، يكون جيش لبنان الواحد، يكون جيش الوطن الواحد، يكون جيش الشعب الواحد. أهلاً وسهلاً بكم وإن شاء الله تكون الأيام المقبلة أيام السلم في لبنان، أيام انتهاء معاناة اللبنانيين. وامامكم أستطيع أن أؤكد لكم وأتعهد شيئاً، لن يستطيع احد أن يقف في وجه مصلحة الوطن.

عشتم وعاش لبنان».

عندما غادر الضباط المقر المؤقت سألني عما فعلت في مسألة اختيار قائد الجيش، وطبعاً كان هو بدوره قد قام بجردة على الاسماء. وكنت أعلم أنه ناقش هذه القضية مع الرئيسين الحسيني والحص، وان الرئيس الحسيني كان متحمساً جداً لتعيين اميل لحود المدعوم من البير منصور وشقيقه العميد ادوار منصور الصديق الحميم لأميل لحود. والنائب ألبير منصور هو احد الحلفاء السياسيين الرئيسيين للرئيس حسين الحسيني في البقاع. وهكذا أوضحت بكل بساطة للرئيس معوض أن هناك قائمة بالاسماء المقترحة لهذا المنصب تشمل العمداء انطوان بركات وفهيم الحاج وفايز حرب ونسيب عيد واميل لحود. فأجابني أنه يعرفهم جميعاً باستثناء اميل لحود. فسألني عندها: «وأيهم في رأيك هو الأنسب

لهذا المهمة؟».

فأجبته ببعض اللباقة والهدوء انه بحسب الشروط والمعايير التي وضعتها أساساً أنت تريد ضابطاً ليس له علاقة بالميليشيات ويؤمن بسياسة عربية معادية لاسرائيل، وفي هذه الحال يكون رجلك المطلوب هو العميد اميل لحود، علماً أنهم جميعاً من الصنف الممتاز.

لم اكن اعرف جيداً العميد اميل لحود، وفي الأيام العشرة السابقة كان رفاقي الضباط قد لاحقوني باستمرار وبالحاح عبر زياراتهم السرية الى المقر والرسائل العديدة التي أرسلوها ومئات الاتصالات الهاتفية. وجميعهم كانوا يعملون بقوة واندفاع لوصول العميد اميل لحود الى قيادة الجيش، وهؤلاء الضباط هم: العمداء انطون سعد وانطوان سعادة ومحمد سعد والعقيد وليم مجلي وخصوصاً العقيد المتقاعد عدنان شعبان.

فارجأ الرئيس حديثنا في هذا الموضوع الى المساء لدى دخول المقدم جوزف رميا لينبئه بوصول السفير البرازيلي الى المقر.

عند الظهر اتصل الرئيس معوض بالرئيس حافظ الأسد هاتفياً لتهنئته بالذكرى التاسعة عشرة للحركة التصحيحية في سوريا. فشكره الرئيس الأسد متمنياً له التوفيق في تحقيق السلام والمصالحة في لبنان مؤكداً على دعمه الكامل له.

في هذا اليوم زار الرئيس شارل حلو والأباتي بولس نعمان البطريرك صفير في الديمان. ولدى مغادرتهما، صرح الرئيس حلو أن عودة البطريرك الى بكركي هي مطلب الجميع. وفي هذا اليوم اعتذر نائب رئيس الجبهة اللبنانية منير الحاج هاتفياً من الرئيس الحص معلناً رفض هذه الجبهة المشاركة في المشاورات البرلمانية. اما رئيس حزب الكتائب جورج سعادة فقد صرح لوكالة الصحافة الكويتية ان قرارات المكتب السياسي للحزب تتخذ ديموقراطياً، وأنه إذا قرر الحزب عدم دخول الحكومة فانه سيقدم استقالته منه. كأنه أراد ان يظهر للجميع أنه بحاجة الى تغطية من المكتب السياسي كي ينضم الى الحكومة، في حين ان المكتب كان منقسماً بين رأيين متناقضين.

الدكتور سمير جعجع عمل يومها على إيصال رسالة الى الرئيس يقول فيها أنه يوافق على المشاركة في الحكومة، ليس بنفسه وإنما عبر وزير يمثل القوات

اللبنانية .

كان الرئيس معوض واثقاً أن بامكانه في بداية عهده أن يحقق المصالحة بين الموارنة وبنوع خاص بين الزغرتاويين والقوات اللبنانية ، وبالتحديد بين سمير جعجع وسليمان طوني فرنجية ، إذ كان يرغب في طي هذه الصفحة السوداء في تاريخ الموارنة . وقد ناقش هذا الأمر المهم مع المسؤولين السوريين الذين شجعوه جداً على هذا خصوصاً وأنه يساعد في إضعاف ميشال عون وتحقيق المصالحة الوطنية . وكان سليمان طوني فرنجية مستعداً لأيّ عمل يؤدي الى تسهيل مهمة الرئيس معوض للوصول الى المصالحة الوطنية الشاملة ، وضمناً تصالحه مع القوات اللبنانية وطي صفحة الماضي . وكان الرئيس معوض من الداعمين بقوة لسليمان طوني فرنجية وقد أراد تعيينه وزيراً إذ كان يرى فيه صورة عن والده ، صديقه طوني فرنجية .

في النهار نفسه بعث الرئيس الجزائري الشاذلي بن شديد برسالة الى الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران باسم اللجنة العربية الثلاثية العليا ، بواسطة وزير خارجيته محمد غزالي الذي كان يزور الاليزيه في باريس . وفي الرسالة طلب الى ميتران أن يساعدهم في تطبيق اتفاق الطائف عبر الضغط على عون . وبعد اللقاء صرح الوزير الجزائري امام قصر الاليزيه ان فرنسا واللجنة العربية الثلاثية تتخذان الموقف ذاته في دعم اتفاق الطائف ، وأضاف أنه قد يزور الفاتيكان أيضاً . وفي التصريح ألمح الى ان الرئيس ميتران أوضح له انه يجب تغيير موقف الفاتيكان بالنسبة الى العماد عون ، الذي (الفاتيكان) بالرغم من حادثة بكركي ظل يدعمه بقوة(٨) .

في المساء كنا نقوم بالتحضيرات اللازمة للانتقال الى اهدن في اليوم التالي لتمضية يومين . وقد أعلن أن يوم السبت في الثامن عشر من تشرين الثاني هو يوم مفتوح امام جميع اللبنانيين الراغبين في تهنئة الرئيس ، وأن السفير الأميركي سيقدم اوراق اعتماده للرئيس في اهدن يوم الأحد .

كان الرئيس منهمكاً في كتابة الخطابين اللذين سيلقيهما في هاتين المناسبتين بمساعدة السفير عاصم جابر ومستشاره الاعلامي عبد الله معوض .

وحوالى العاشرة مساءً استدعاني ليقول لي بهدوئه المعهود : يمكنك الاتصال

بالعميد اميل لحود لتبشره بانه سيكون القائد الجديد للجيش . أطلب اليه أن يحضر الى المنطقة الغربية لاجتمع به واتعرف اليه . أما انا وقد عجبت قليلاً لقراره السريع فقلت له : ألن تناقش مع الاخوة السوريين موضوع هذا التعيين المهم قبل أن أبلغه الرسالة؟ فاجابني ان لا ، لأن الضابط المعني هو عروبي صافٍ ومعاد لاسرائيل .

تركت الرئيس متمنياً له ليلة سعيدة وعدت بسرعة الى غرفتي لأتصل هاتفياً بأصدقائي الضباط أبشرهم بأن حلمهم قد تحقق وأنه بامكانهم إبلاغ الخبر الى العميد لحود ولكن بشكل سري كيلا يهاجمه جماعة عون حيث كان يقطن في جونية . وهكذا تمكن عدنان شعبان وأنطون سعد وأنطوان سعادة ووليم مجلي ومحمد سعد ، من النوم مطمئنين في تلك الليلة .

اليوم الثالث عشر
الجمعة ١٧ تشرين الثاني

في الثامنة صباحاً كان الرئيس يعطي تعليماته الأخيرة الى جميع مستشاريه كونه سيتغيب لمدة يومين.

كنت قد جهزت الموكب الرئاسي الكبير، فغادر المقر في الثامنة صباحاً لينتقل الى القاعدة العسكرية في القليعات، سالكاً طريق البقاع فالأرز فطرابلس.

في العاشرة توجهت الى مكتب المدير العام لشركة طيران الشرق الأوسط، السيد سليم سلام، في مطار بيروت. فاستقبلني افضل استقبال بحضور السيد يوسف لحود والمهندس عبد المنعم حطيط، وطلبت اليهم بكل لباقة أن يطلعوني على برنامج وصول الطائرات الى بيروت. كان هناك ثلاث طائرات ستصل الى بيروت في حدود الثانية عشرة ظهراً، اثنتان من أوروبا وواحدة من السعودية. فاخترت هذه الأخيرة معتبراً أنها الأكثر أماناً لأن الاجراءات الأمنية في مطارات السعودية معززة جداً. وفي الثانية عشرة والنصف حطت الطائرة على المدرج الجنوبي فطوقتها العناصر التي رافقتني في مكانها. وبعد ان نزل الركاب طلب السيد سلام الى الطاقم أن يبقى على متن الطائرة لكي ينقلوا الرئيس معوض الى الشمال، وأشار على التقنيين بملء الخزانات بالكيروزين. فاتصلت لاسلكياً، بواسطة جهاز موتورولا بالرائد وفيق شقير لأطلب اليه أن يصطحب الرئيس الى المطار. وصل الرئيس بعد ربع ساعة فصعد تواً الى الطائرة دون انتظار مراسم التشريف، فحيا جميع أفراد الطاقم معتذراً لأنه تسبب بتغيير برنامجهم وتحميلهم اوقات عمل إضافية.

استغرقت الرحلة نصف ساعة. في الواحدة بعد الظهر هبطنا في مطار القليعات حيث كان قائد القاعدة العسكرية العقيد طبوش في انتظار الرئيس على ارض المطار مع فرقة من الجيش قدمت للرئيس مراسم التشريف المعروفة، فيما كان النقيب بطرس عزام ينتظرنا بالقرب من ارض المطار، وكان قد قسم الموكب الكبير موكبين مختلفين. وعند هبوط الطائرة أمر بانطلاق الموكب الأول الى اهدن وسط صفير دراجات الشرطة، فيما ظل موكب صغير مؤلف من ثلاث سيارات منها سيارة المرسيدس المصفحة التي استقلها الرئيس ومعه في الخلف المقدم رميا فيما جلست انا بالقرب من السائق. وانطلقنا متوجهين الى اهدن بعد عشرين دقيقة من انطلاق الموكب الأول ووصلنا الى دارة الرئيس حوالى الساعة الثانية بعد الظهر، حيث احتشد في باحتها جمع غفير، وسط الطبل والزمر والدبكة والأغاني الوطنية اللبنانية. ولدى وصول الرئيس اندفع الجميع نحوه ساعين الى تحيته او مصافحته، أما النساء فكن يزغردن ويهتفن بحياته وينثرن عليه الأرز والأزهار.

صبيحة هذا اليوم كان البطريرك صفير قد قام بزيارة للرئيس سليمان فرنجية في زغرتا وصرح لدى مغادرته أن قطار السلم سيقلع بهدوء إن شاء الله، فيما توقع الرئيس فرنجية أن ترى الحكومة الجديدة النور في الاسبوع القادم قائلاً ان اللبنانيين الذين انتظروا خمسة عشر عاماً يمكنهم الانتظار خمسة عشر يوماً.

عند الظهر زار المحامي شاكر أبو سليمان العماد عون في بعبدا، وصرح لدى خروجه أن الأمور في ما خص عودة البطريرك الماروني الى بكركي تسير في الاتجاه السليم وأن النتائج ستظهر قريباً.

وبعد ساعتين من وصولنا الى اهدن أصدرت أمانة سر البطريركية، من مقرها في الديمان، بياناً مفاجئاً وغامضاً، يوضح «أن البطريرك لا يميز بين الذين يؤيدون اتفاق الطائف وبين أولئك الذين يرفضونه طالما أن الهدف واحد وهو تحقيق السيادة التامة على الأراضي اللبنانية. وأن البطريرك يتمنى وضع حد لكل سوء التفاهم هذا الذي يدور حول موقفه ويطلب الى جميع الذين يزجون باسمه في هذا النزاع ان يتوقفوا عن ذلك. كما أن البطريرك يسامح كل الذين أساؤوا اليه بشخصه في بكركي.»

عندما قرأ الرئيس البيان وقد حمله اليه عبد الله معوض، استغرب الأمر ورأى أن الوضع يزيد تعقيداً.

في السابعة مساء وصل العماد عون الى الصرح البطريركي في بكركي، فاستقبله المطرانان رولان ابو جدودة وبشارة الراعي ومعهما الأب باسيل الهاشم.

في هذه الزيارة التي دامت أربعين دقيقة اتصل المطران أبو جودة هاتفياً بالبطريرك صفير ومرر الاتصال الى العماد عون الذي قدم له اعتذاراته متمنياً عليه العودة بأسرع ما يمكن الى بكركي قائلاً له أن المقر موحش في غياب سيده. («بكركي مش حلوي بغياب سيدها»)

كما زار العماد عون سفارة الفاتيكان في حريصا واجتمع بالسفير البابوي بابلو بوانتي.

لم يرتح الرئيس معوض للخبر الثاني عندما سمع به حوالى الثامنة مساء وقال لي انه سيقوم بزيارة سرية الى البطريرك في الديمان صبيحة الغد.

في ذلك النهار اطلق جورج سعادة مشروعاً جديداً طلب فيه الى جميع القوات المسيحية الانضمام الى الحكومة، وفي حال لم تنسحب القوات السورية بعد شهر من المناطق التي نص عليها اتفاق الطائف، يستقيلون جميعاً. كما لفت الى أنه خلال الاجتماع الأخير للجبهة اللبنانية كان داني شمعون الأكثر تحمساً لاتفاق الطائف، فلماذا عدل عن موقفه هذا؟ وهذا يؤكد ما قاله أمامي داني شمعون في مناسبة العزاء المذكورة آنفاً. وكان داني شمعون طلب من نواب حزب الأحرار أثناء وجودهم في الطائف الموافقة على وثيقة الوفاق الوطني تحت طائلة فصل أي مخالف من الحزب. جاء موقفه هذا في مكالمة هاتفية أجراها معه نواب حزبه ميشال ساسين وبيار دكاش ونصري المعلوف وكاظم الخليل، من جناح هذا الأخير في قصر الضيافة في مدينة الطائف، كما اخبرني الرئيس معوض.

كانت الاحتفالات ما تزال قائمة في الساحة امام القصر فيما ساد القلق داخله. وكغيرها من الليالي السابقة كانت ليلتي صعبة، تركت الرئيس متمنياً له ليلة سعيدة مع أني كنت متأكداً أنها ستكون بعكس ذلك. وحاولت الاحتفاظ ببعض الأمل في أن يكون الغد أفضل.

اليوم الرابع عشر
السبت ١٨ تشرين الثاني

في الصباح الباكر، عند الساعة السادسة انتقل الرئيس سراً لزيارة البطريرك في الديمان. اقترح على البطريرك نصر الله صفير ان يرجئ عودته الى بكركي على أمل ان يعودا معاً وفي الوقت نفسه الى المنطقة الشرقية. ولدى عودته في حوالى السابعة أخبرني الرئيس معوض أن البطريرك لم يقبل بتأخير عودته، إذ ان الفاتيكان يشدد على ان يكون البطريرك الماروني في مقره في بكركي. وأوضح لي أن عودة البطريرك سوف تخدم مصالح عون وتعقد الأمور في وجهه هو.

كان الرئيس حدد هذا اليوم لاستقبالات التهنئة المفتوحة في اهدن بالضبط لأن البلدة في هذا الوقت من السنة تكون خالية بعد نزول السكان المصطافين الى زغرتا في موسم المدارس، وهكذا تخلو الأماكن والساحات للوفود الشعبية التي ستؤم اهدن وتتوفر المواقف لوسائل النقل التي ستحملها.

وابتداءاً من الثامنة صباحاً بدأت الوفود والمجموعات الشعبية بالوصول الى اهدن لتهنئة الرئيس، متقاطرة من جميع المناطق اللبنانية. وفي ذلك اليوم صافح حوالى عشرة آلاف شخص الرئيس يداً بيد، وقد حضروا بنوع خاص من طرابلس وعكار والكورة والبترون وجبيل وبشري وبعلبك ومن البرجين في الشوف ورميش في الجنوب، إضافة الى زغرتا وقضائها. وقد زار الرئيس مهنئاً كل من النواب مخايل الضاهر وطلال المرعبي ورفيق شاهين وزاهر الخطيب وباخوس حكيم، والسادة خليل الهراوي والياس الفرزلي والمطران أندريه حداد والمطران جورج خضر وجورج حاوي ووجيه البعريني وخالد صاغية، كما تلقى اتصالاً

هاتفياً من الرئيس السابق لمجلس النواب كامل الأسعد.

وفي الثانية عشرة ظهراً ألقى الرئيس، من على شرفة القصر، خطابه الشهير في الجماهير المحتشدة في باحته الخارجية:

«جئتم اليوم للتهنئة، فاهلاً بكم في داركم. ولكن هنالك من هم أحق مني بالتهنئة، عنيت بهم نواب الأمة، ممثلي الشعب الشرعيين، الذين حافظوا على النظام الديموقراطي وتمسكوا بالحرية، وأكدوا وحدة لبنان السيد المستقل وعملوا من اجل السلام. كما يعود الحق بالتهنئة الى كل من ساهم ويساهم في إعادة لبنان الى اللبنانيين من الدول العربية الشقيقة والدول الصديقة. وقد هبوا جميعاً لمساعدة وطنهم في محنته، ونصرة قضيته واجمعوا على صيانة حقه في الوجود. وجئتم كذلك أيها الأعزاء لإعلان الولاء لرئيس الجمهورية، فأهلاً بكم، ولكن طلبي إليكم وإلحاحي عليكم، أن يكون ولاؤنا للشرعية وحفاظنا على المؤسسات لأن الأشخاص عابرون والأمجاد الشخصية تزول، ولكن مجد الأوطان هو الباقي. والغاية التي نعمل من أجلها ونناضل في سبيلها هي مصلحة الشعب الحقيقي ومستقبله وامنه وسلامته وحقه في الحياة المثلى والعيش المشترك.

ويا اهلي وبني قومي الذين تمثلون وحدة العائلة الشمالية واللبنانية، إنني فخور بكم، شاكراً لكم وقفتكم المعبرة، وعلى الأصالة الوطنية، وإنني أعتمد عليكم وعلى شعبنا الأبي في الشمال، ارض العنفوان والفروسية، كما في الجنوب الصامد البطل، والجبل الأشم، والبقاع العزيز الشهم، والعاصمة المتقدمة بين المدائن، لؤلؤة المتوسط، ومفخرة الشرق ومنارة العروبة. ولئن كان لقاؤنا اليوم في اهدن، فسيكون لنا غداً لقاء، وكل يوم لقاء في مناطق لبنان ومدنه وقراه، لقاء المحبة والتضامن، والمشاركة في المسؤولية. ولن يحصل بين أبناء شعبنا بعد اليوم أي حاجز مصطنع، ولن تفرقنا غايات ومصالح واطماع، بل سنظل ملتفين حول المبادئ الوطنية والمثل العليا والقيم الروحية، نحفظ الحرمات، ونحترم المقامات، متمسكين بوجودنا مدى الحياة، نفتدي راية الأرز حتى الممات. هذا عهدنا على أنفسنا، وهذا قرارنا الوجداني المعلن، في مواجهة التجارب والمحن، معتمدين على وحدة شعبنا، وانضباط جيشنا،

والارادة القومية والدولية المؤيدة للبنان. فاهلاً بكم وشكراً لكم، والله معكم ومع لبنان.

شكراً لكم جميعاً. شكراً لعاطفتكم. شكراً لعكار وشكراً للبترون وللكورة ولبشري ولعاصمة الشمال طرابلس. شكراً لزغرتا الزاوية. شكراً للضنية. شكراً لأبناء الشمال الأبطال.

اليوم هو يوم وحدة لبنان وانتم تمثلون هذه الوحدة، وكم كنت أود أن يكون معي والى جانبي أخوان عزيزان علينا، الشهيد طوني بك فرنجية الذي آمن بالمثل وبالقيم الوطنية التي تتمثل بحب لبنان وبالدفاع عن استقلاله وعن سيادته وعن وحدته فكان خطه ضد تقسيم الوطن وشرذمته. وكان شهيد الوطن.

وأفتقد جناحاً آخر هو المرحوم الأب سمعان الدويهي، وكما تعرفون، مواقفه الوطنية لا تزعزعها أي مصاعب أو تحديات، فكان دائماً واقفاً بالمرصاد في وجه كل من يريد أن يقسم هذا الوطن ويقسم أبناءه، فالى روحيهما تحية الاحترام والاجلال وذكراهما ستبقى في ذهننا وخاطرنا.

أفتقد هذا اليوم وفي هذه المناسبة بالذات رمزاً من رموز الوحدة الوطنية، أفتقد الرشيد الذي كان يمثل القيم الوطنية العليا ويتحلى بها، والذي قضى دفاعاً عن سياج لبنان واستقلاله والعيش المشترك فيه والوفاق الوطني. ونعاهدكم أننا سنبقى على العهد لتحقيق لبنان الموحد الحر السيد.

عشتم وعاش لبنان».

أما أنا فقد غادرت اهدن في الساعة التاسعة والنصف كي اصل الى موعدي الثاني في ميفوق في الحادية عشرة. مررت بمكتب العقيد السوري محمد الشعار الذي اوكل الضابط نفسه الذي رافقني في المرة الماضية ليصطحبني الى الحاجز السوري الأخير في جرود البترون. وبوصولي الى مكان اللقاء في ميفوق التقيت مجدداً نادر سكر وغسان توما. فابلغاني ان العماد عون، وبحسب معلومات موثوقة وأكيدة، سيرفض كل عروض الوساطات والمصالحة وانه حتى اللحظة ما يزال يراهن على العراقيين والفلسطينيين والفرنسيين والفاتيكان. وهو لن يقبل الانضمام الى اتفاق الطائف، والحال هذه لم يبقَ من خيار سوى الحل

العسكري، وان القوات اللبنانية مستعدة للمساعدة في هذا المجال. كما ابلغاني أيضاً أن العماد عون استفز مؤخراً القوات اللبنانية مرات عديدة، لكن الدكتور جعجع ما يزال ينسحب أمامه تفادياً للمعركة الانتحارية. وللأسف أنه سيأتي يوم لا مفر فيه من هذه المعركة. كما قالا لي أن لدى الدكتور جعجع ثقة كبيرة في الرئيس معوض وأنه مستعد للتضحية بأي شيء لانجاح الرئيس معوض في مهمته.

افترقنا بعد ان اتفقنا على موعد ثالث في الاسبوع القادم وعدت من حيث أتيت. عرجت على العقيد الشعار حيث شربنا القهوة وتناقشنا حوالى عشرين دقيقة.

عدت الى اهدن في حوالى الساعة الثانية بعد الظهر. كان الرئيس، بعد ان ألقى خطابه، يتناول طعام الغداء مع بعض النواب الذين وصلوا قبل قليل. كان من المفترض أن يحضر الى اهدن، في عطلة نهاية الأسبوع، حوالى خمسة عشر نائباً لحضور حفل تقديم السفير الأميركي اوراق اعتماده وللتباحث مع الرئيس في آخر ما طرأ في قضية تشكيل الحكومة الجديدة.

ضاقت طرقات البلدة بآلاف السيارات المتوقفة يميناً ويساراً، اما الباحة الخارجية للقصر فقد اكتظت بالحشود مغنية وراقصة. كان بالفعل مهرجاناً لبنانياً تراثياً.

كان المسؤولون عن البروتوكول منهمكين باعداد الصالون القديم في الطابق الأرضي، الذي يعود عهده الى مائة عام، من اجل حفل تقديم اوراق اعتماد السفير الأميركي في اليوم التالي.

في هذا النهار أمضى الرئيس وقتاً طويلاً وهو يجري المكالمات الهاتفية، ضارباً رقماً قياسياً في هذا المجال حتى ليمكن القول ان الذين يتنصتون على الهاتف اشتغلوا كثيراً يومها. لقد كالم الرئيسين الحسيني والحص مرات عديدة ومع الرئيس فرنجية ومع سليمان طوني فرنجية مرات عديدة أيضاً، ومع حوالى ثلاثين نائباً من مختلف الاتجاهات. كما اتصل بالخارج حوالى عشرين مرة، باختصار ظل الخطان الهاتفيان المتوفران في منزله في اهدن مشغولين طوال النهار.

في الساعة الرابعة من بعد الظهر وصل ميشال المر مبتسماً لمقابلة الرئيس، وقد أخبرني انه قادم من سوريا حاملاً رسالة. ولدى مغادرته أطلعني انه عائد الى سوريا وسيعود في صباح اليوم التالي، فمثل هذه المسافات الطويلة هي من السهولة عليه كشربة ماء، خصوصاً إذا حققت اهدافه.

في هذه الأثناء وصل الأباتي بولس نعمان بصحبة ميلاد الغزال معوض، فاجتمعا بالرئيس لمدة ساعة، وكانت المرة الثانية التي يزوره فيها الأباتي نعمان في اهدن.

حوالى الخامسة مساء وصل موكب السفير الأميركي جون ماكارثي الى قصر الرئيس معوض. كان السفير ومستشاره السياسي قد استقلا طائرة من لارنكا في قبرص الى دمشق وهناك أمنت لهم السفارة الأميركية عناصر المواكبة والسيارات اللازمة للقدوم الى اهدن عبر البقاع. لقي السفير ماكارثي ومستشاره السياسي دايفد ساترفيلد استقبالاً حاراً من الرئيس الذي اجتمع بهما مدة ساعة. فأطلعهما على تفاصيل الوضع الحالي في ما يتعلق بتشكيل الحكومة وبالوضع السياسي عامة بتعقيداته التي تتفاقم يوماً بعد يوم. ثم حدد موعد تقديم أوراق الاعتماد عند الساعة العاشرة من صباح الغد، غادر بعدها الوفد الأميركي لينزل في اوتيل بلمون في اهدن حيث امضى ليلته. كان النواب اللبنانيون قد وصلوا جميعاً تقريباً ونزلوا أيضاً في أوتيل بلمون مما أتاح لهم التباحث مع السفير الأميركي.

في التاسعة دعا الرئيس وقرينته الجميع الى العشاء في مطعم الأوتيل، شارك فيها إضافة الى الوفد الأميركي النواب شفيق بدر وجورج سعادة وميشال ساسين ونصري المعلوف وادمون رزق وبطرس حرب وحبيب كيروز وعبد الله الراسي وبيار حلو والياس الخازن، ثم سليمان طوني فرنجية والشيخ سيمون بولس، والمقدم جوزف رميا وأنا شخصياً، إضافة الى صاحب الأوتيل ميلاد الغزال معوض الذي كان يرحب بالجميع بحسن ضيافته المعهودة. انتهى العشاء حوالى الحادية عشرة ليلاً، فودع الرئيس ضيوفه جميعاً متمنياً لهم ليلة هانئة، أراد ان ينتقل الى منزله الذي يبعد حوالى كيلومتر واحد عن الأوتيل سيراً على الأقدام، لكن البرد منعه من ذلك فاستقل السيارة بعد أن سار حوالى المائة متر.

بعد وصولنا الى المنزل أوضح لي امراً كنت أجهله حول اللجنة الثلاثية

العربية. كان من المفترض أن تنتهي مهمة هذه اللجنة في ٣٠ تشرين الثاني أي بعد ١٣ يوماً. ففي ٣٠ تشرين الثاني ترفع اللجنة تقريرها الى قمة عربية قد تنعقد قبل نهاية العام لتجدد لها مهمتها من أجل التمكن من أنجاز تطبيق اتفاق الطائف في لبنان. ولذلك كان يستعجل تشكيل حكومة الوفاق الوطني وإحياء العمل في مؤسسات البلاد بأسرع ما يمكن.

في الحادية عشرة والنصف ليلاً تلقى اتصالاً هاتفياً من الملك فهد، فانفرد الرئيس في صالونه الخاص في الطابق الأول وأغلق الباب، متحدثاً عبر الهاتف لحوالى نصف ساعة. لم يكن سواه على الهاتف من طرف والملك من الطرف الآخر وفيما بينهما المتنصتون على المكالمات الهاتفية في مختلف البلدان. أطلع الملك على جميع التعقيدات والعوائق طالباً دعمه كما شكره على كل ما قام به حتى الآن من أجل لبنان.

عندما انتهت المكالمة أطلعته على ما جرى معي في ميفوق. كان يحاول دائماً رغم الضغط النفسي الكبير استعادة روحه المرحة فقال لي: «انت سعيد هذه الليلة لأنك التقيت أصدقاءك الأميركيين". فهو كان يعلم أن صداقة وطيدة تربطني منذ زمن بالسفير ماكارثي وبمستشاره السياسي دايفد ساترفيلد.

ما يثير الاستغراب هو انه لم يفقد ولو للحظة واحدة هذه الروح المرحة. وقد تساءلت من أين يستمد هذه القوة الجسدية والمعنوية التي لا تعرف الكلل. ذهبت لأنام راجياً ان يتمكن هؤلاء الأميركيون من حمل الزمن السعيد الينا، هم المعروفين في لبنان بالاندفاع أولاً ثم بالتريث والانكفاء حتى التخاذل والفشل.

اليوم الخامس عشر

الأحد ١٩ تشرين الثاني

منذ الصباح اكتظت الباحة أمام دارة الرئيس في اهدن بالحشود، وكان الرئيس بكامل أناقته منذ الثامنة صباحاً، مرتدياً بذلته الزرقاء ومستعداً لمراسم تقديم أوراق الاعتماد. وحضر حشد من الصحافيين لتغطية الحدث. وصل الوفد الأميركي عند التاسعة والنصف، وبدأ الاحتفال عند العاشرة ولم يدم إلا ربع ساعة تقريباً. قدم السفير ماكارثي أوراق اعتماده الى الرئيس معوض وسلمه رسالة من الرئيس جورج بوش، وفيها أبدى الرئيس الأميركي عزمه الأكيد على إظهار دعم الولايات المتحدة الفعلي والملموس للرئيس معوض وللبنان في الأيام والأسابيع القادمة. كما عبرت عن ارتياح الرئيس بوش الى القرار الشجاع الذي اتخذه الرئيس معوض بتطبيق اتفاق الطائف. كما أن الرسالة تحدثت عن جهود ديبلوماسية تبذل ما بين واشنطن وباريس ولندن لتذليل العقبات التي يضعها عون وان النتائج ستظهر خلال الأيام العشرة القادمة.

وقد حضر هذه المراسم خمسة نواب هم أدمون رزق وبيار حلو وجورج سعاده وطلال المرعبي وشفيق بدر.

كان السفير الاميركي هو السفير الأجنبي الأول الذي يقدم أوراق اعتماده الى الرئيس معوض، وكانت الغاية من هذا الاحتفال إظهار مدى الدعم الأميركي لاتفاق الطائف كما للرئيس معوض.

اجتمع السفير الأميركي بجميع النواب المتواجدين في اهدن كما زار الرئيس سليمان فرنجية في زغرتا والبطريرك نصر الله صفير في الديمان. وعند الظهر

أولم الرئيس على شرف الوفد الأميركي بحضور النواب المتواجدين في اهدن إضافة الى العديد من رجالات السياسة ورجال الأعمال الشماليين.

أبدى السفير الأميركي علناً استغرابه وتفاجأه بالمواقف الصامتة من جانب جميع الزعماء السياسيين في المنطقة المسيحية (الشرقية) إزاء العماد عون، ذاكراً تحديداً القوات اللبنانية. فاتصل هاتفياً بسمير جعجع كي يحضه، عبر استفزازه حتى، على الانتفاض ضد عون. وهذا هو الاتصال الهاتفي الشهير الذي شغل طويلاً وسائل الاعلام مثل قصة ابريق الزيت، والذي لم يرتح الرئيس معوض اليه لا شكلاً إذ تعمده السفير الأميركي أمام كل وسائل الاعلام، والتنصت طبعاً، ولا مضموناً قناعة منه بأن المعالجة الجدية لا يمكن أن تنجح بمثل هذا الاسلوب التحريضي المكشوف، خصوصاً من جانب سفير أكبر دولة في العالم. مثل هذا الامتعاض عبر عنه الرئيس معوض بعد تصريح الأمين العام للحزب الشيوعي جورج حاوي أمام القصر الرئاسي في اهدن الذي اتسم بالتشنج والتهديد والوعيد لعون. فالرئيس معوض كما عهدناه كان يهوى العمل بصمت وروية واتزان بعيداً عن لغة الاستفزاز والتحدي وإثارة الغرائز.

في ما بعد الظهر غادر الوفد الأميركي اهدن متوجهاً الى دمشق. وفي الساعة الرابعة، عاد ميشال المر مجدداً مبتسماً ومندفعاً، قابل الرئيس مدة خمس دقائق ليعود مجدداً الى دمشق بحسب ما ابلغ.

في يومي السبت والأحد هذين، راجت في اهدن موجة من الشائعات عصفت كالاعصار. كثيرون جاءوا يطلعون بعض المقربين من الرئيس أو احد أفراد عائلته على قصص وروايات مختلفة، فيما اتصل آخرون هاتفياً ليبلغوا عنها. فقد روى البعض ان العماد عون، الذي قرر بعد انتخاب معوض مغادرة البلاد وتشكيل حكومة حرة في جزيرة رودوس في اليونان، قد غير رأيه، إذ أجرى اتصالاته بالاسرائيليين والفلسطينيين والعراقيين والفرنسيين فنصحوه بالبقاء في بعبدا لأنه سوف يتم اغتيال الرئيس معوض.

وروى آخرون ان العماد عون قد ركز على تلة اليرزة مدافع من عيار ١٢٢ ميلليمتر و١٥٥ ميلليمتر لاستخدامها في قصف مباشر على طائرة الرئيس خلال هبوطها في مطار بيروت. او ايضاً أن العماد عون قد استلم صواريخ أرض جو من

العراق وسيقصف طائرة الرئيس وهي في سماء العاصمة بيروت.

راجت الشائعات في كل مكان، في الشرقية كما في الغربية، في الشمال كما في البقاع وحتى في أوساط المغتربين اللبنانيين في كل دول العالم ومفادها أن الرئيس معوض سيقتل أو أنه في خطر، وبهذا المعنى وردت مئات الاتصالات الهاتفية من المغتربين والاصدقاء في جميع الدول.

وفي هذه الأجواء تكاثرت الأحلام المشؤومة فراح النسوة يحضرن ليروين ما شاهدنه في المنامات في هذه الليلة او تلك، فتشبهنها بما تراءى في المنامات قبل اغتيال طوني فرنجية وبشير الجميل، أو أنهن اتصلن هاتفياً ليخبرن هذه الأحلام ويفسرنها كما يفهمنها.

وذهب آخرون عند البصارين والبراجين يستطلعون الأرواح وما تراه، ويعودون بتوقعات تنذر باشتداد الخطر على الرئيس.

في هذا المساء وفي بغداد صرح نائب رئيس الوزراء العراقي أن الحل عبر الاتفاق المعقود في لبنان ليس جدياً بسبب الاحتلال السوري. وأضاف أن وجود سفيرهم في حفل استقبال الرئيس معوض السلك الديبلوماسي في الاسبوع المنصرم هو من مقتضيات العمل الديبلوماسي دون أن يذكر إن كان العراق يعترف بشرعية الرئيس معوض أو لا [٩].

وإزاء هذه الموجة من الشائعات نصح الكثيرون الرئيس معوض بالبقاء في اهدن وعدم الذهاب الى بيروت. فكان يرد عليهم بابتسامته المعهودة قائلاً انه يريد الذهاب الى بيروت لتشكيل الحكومة ولأنه يريد ان يظهر للبنانيين يوم عيد الاستقلال صورة لبنان الموحد حين يرون رئيس الجمهورية واقفاً ما بين رئيس مجلس الوزراء ورئيس مجلس النواب وهم يتقبلون التهاني من السياسيين والديبلوماسيين والفعاليات اللبنانية متحدياً بذلك الاشارات والشائعات والأخبار، التي وإن لم تشكل الأساس للحقيقة إنما انبأت بدون أي شك بشيء خطير أو بمؤامرة جدية تحاك خلف الكواليس، فكأن الرئيس سعى الى قدره متسلحاً بإيمانه وصدقية قناعاته.

اليوم السادس عشر
الاثنين ٢٠ تشرين الثاني

وصلت الى القصر في اهدن في الثامنة صباحاً حيث عم الهدوء الباحة امامه. وفي الساعة العاشرة صباحاً طلب الي الرئيس أن أعمل على إحضار طائرة من شركة الميدل إيست الى مطار االقليعات كي تقلنا الى بيروت مع النواب الموجودين في اهدن. وعلى الفور أطلقت من اهدن الموكب الرئاسي عبر البقاع لكي ينتظرنا على مدرج مطار بيروت، وقد أبقيت على ضابط وثمانية عناصر مدنية لمواكبة الرئيس من اهدن الى القليعات.

واتصلت هاتفياً بالرائد وفيق شقير الذي كان في المقر المؤقت في بيروت طالباً اليه أن يقصد إدارة شركة الميدل إيست ليأتي مباشرة بالطائرة الأولى التي تصل، كما فعلنا منذ ثلاثة أيام. وحوالى الظهر اتصل بي الرائد شقير ليبلغني أن الطائرة جاهزة ومتجهة الى قاعدة القليعات العسكرية. فحضرت موكباً أولاً مستعيناً بسيارات لأشخاص من آل معوض استقلتها النواب وغادر اهدن في الساعة الواحدة بعد الظهر وسط صفارات الدراجين من شرطة درك الشمال. ثم غادرنا اهدن بعد عشرين دقيقة على مغادرة النواب في الموكب الأول، في موكب آخر صغير من ثلاث سيارات قديمة لا تلفت النظر استقله العناصر الثمانية مزودين برشاشات صغيرة أخفيت داخل سيارتين منها. قدت السيارة الثالثة وقد جلس الرئيس مع السيدة الأولى في الخلف والمقدم رميا الى جانبي. وبوصولنا الى كفرحاتا قال لي الرئيس انه يريد المرور لرؤية الرئيس سليمان فرنجية في قصره في زغرتا. كانت زيارة قصيرة استغرقت خمس عشرة دقيقة اختلى فيها

الرجلان اللذين طالما تبادلا الاحترام كما كانا يحترمان قواعد اللعبة. رافق الرئيس فرنجية بعدها الرئيس معوض حتى السيارة أمام قصره. رأيت بشكل واضح في عينيه أنه كان قلقاً جداً على الرئيس رينه معوض، وقد بدا أنه يحبه كثيراً وأنه خائف عليه. كانت ساعة الحقيقة، وآخر ما قاله الرئيس فرنجية للرئيس معوض: «ابق هنا يا رينه، لا تذهب الى بيروت، هنا ستكون في مأمن اكثر.»

وقد أجابه الرئيس معوض: «يجب ان أتابع، لا أستطيع أن أتراجع، وعلي ان أشكل الحكومة قبل عيد الاستقلال. إن عدم العمل من العاصمة بيروت هو دليل ضعف ويجب أن أذهب لأخذ السلطة لأنها سوف لن تأتي إليّ». فتمنى له الرئيس فرنجية التوفيق متضرعاً الى سيدة زغرتا كي تحميه.

وفيما أنا أتأملهما فار الدمع في عيني، وسيبقى هذا المشهد مطبوعاً في ذاكرتي الى الأبد. وهكذا تابعنا طريقنا الى قاعدة القليعات بكل هدوء إذ كانت الطرقات خالية من السيارات تقريباً. وبوصولنا الى القليعات كان قائد القاعدة العسكرية ينتظر الرئيس مع النواب وقد حضّر على أرض المطار ثلة من الجيش لتقديم السلاح. وقد فوجئنا بوجود طائرتين مدنيتين على ارض المطار، إحداهما لطيران الشرق الأوسط استقدمها الرائد شقير والأخرى سورية ارسلها الرئيس الأسد بمبادرة شخصية منه الى الرئيس معوض من باب الاحتياط الأمني. استقل الرئيس الطائرة السورية مع الضباط المرافقين والسيدة الأولى وحرسه الشخصي وأنا، واستقل النواب الطائرة اللبنانية. طائرة الرئيس هي التي أقلعت اولاً لتصل الى بيروت في حوالى الساعة الرابعة من بعد الظهر، فاستقلينا سيارات الموكب الذي كان ينتظرنا في المطار لننتقل الى المقر.

في الخامسة بعد الظهر وصل الرئيس حسين الحسيني واجتمع بالرئيس معوض مدة ساعة، وكانت هذه آخر جولة تقييم قبل ولادة الحكومة الجديدة.

في الثامنة وصل الرئيس الحص واجتمع مطولاً بالرئيس معوض، إذ كانا يضعان اللمسات الأخيرة لإعلان تشكيل الحكومة في اليوم التالي قبل أن يتوجه الرئيس معوض في رسالته الى اللبنانيين عشية عيد الاستقلال.

في هذا اليوم صرح وزير خارجية الكويت الشيخ صباح أحمد الصباح ان تقديم سفير أكبر قوة عظمى أوراق اعتماده الى الرئيس معوض لهو خير دليل على

عزمها الأكيد على توفير الأمن والسلام عبر دعم الشرعية اللبنانية [١٠].

وفي واشنطن ضغطت وزارة الخارجية على العراق كي يوقف تزويد العماد عون بالأسلحة والذخيرة، وقد استخدمت الولايات المتحدة نفوذها في مصر والاردن لكي يمنعا مرور هذه الشحنات عبر أراضيهما، ذاك ان هذه الأسلحة كانت تنقل براً من العراق عبر مصر والاردن ثم بحراً الى شواطئ المنطقة الشرقية. وتابعت وزارة الخارجية الأميركية أن العراق قد استجاب الطلب الأميركي [١٠].

في الليل ساد الهدوء في المقر المؤقت. كان الرئيس قد اتخذ قراره بتشكيل حكومة من أربعة عشر وزيراً ولم يتبق سوى الحصول على الموافقة النهائية من وليد جنبلاط ونبيه بري وجورج سعادة على المشاركة في الحكومة، وهو أمر كان شبه مؤكد.

دخل الرئيس وقرينته للنوم، فأويت أنا بدوري الى فراشي. كان الجميع مرهقين بعد هذه التنقلات الشاقة ما بين السيارة والطائرة.

اليوم السابع عشر
الثلاثاء ٢١ تشرين الثاني

في الصباح الباكر وصل الوزير فؤاد بطرس الى المقر، وكان قد أعد القسم الأكبر من رسالة الاستقلال، ساعده في ذلك الوزير مروان حماده والمستشار الاعلامي عبد الله معوض. في الحادية عشرة اتصل عبد الله معوض بغالبية الصحافيين اللبنانيين يدعوهم الى الحضور الى المقر كي يكونوا حاضرين عندما يوجه الرئيس رسالته الى الأمة، دون أن يحدد الموعد بدقة. وحوالى الثانية عشرة ظهراً كان معظم الصحافيين حاضرين لتغطية هذا الحدث المهم.

في هذا اليوم طلب الي الرائد وفيق شقير أن أسمح له بمرافقة الرئيس الى السراي الكبير لحفل الاستقبال الرسمي للتهنئة بعيد الاستقلال اللبناني، ذاك ان والده، الحاج معروف شقير كان مريضاً ولا يستطيع الحضور الى السراي، وهو يود رؤية ابنه يوم الاستقلال واقفاً ما بين الرئيس والعلم اللبناني. فأشرت على المقدم رميا بان يدع وفيق يقوم بمهمة المرافق الخاص للرئيس في اليوم التالي.

حوالى الواحدة من بعد الظهر حضر الى المقر الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني جورج حاوي وطلب مقابلة الرئيس لأمر طارئ، فاستقبله الرئيس على الفور وبعد دقيقتين استدعاني على جناح السرعة. أطلعنا جورج حاوي على أن طبيباً من الحزب الشيوعي من آل مصطفى من منطقة عكار أخبره أن شقيقه، العريف في الجيش اللبناني خالد مصطفى، الذي يخدم في ثكنة القبة- طرابلس في عداد اللواء الثاني، أخبره أن الرائد المسؤول عنه فاروق معاليقي سيضع سيارة مفخخة لاغتيال الرئيس في اهدن، وذلك بالتنسيق مع جهاز مخابرات العماد

عون. وقد أكد جورج حاوي أن الطبيب المذكور رجل جدي ولا يروي أموراً سخيفة.

ونظراً الى الحالة المتوترة التي كنا نمر فيها كلفني الرئيس الانتقال فوراً الى ثكنة طرابلس للشروع فوراً في التحقيق بعد توقيف الرائد والعريف.

غادرت المقر دون أن أبلغ أحداً عن وجهتي. قصدت القاعدة العسكرية الجوية في بيروت بالقرب من المطار وطلبت الى قائدها، العقيد زيد حلاوي، أن يؤمن لي طائرة هيليكوبتر تقلني الى طرابلس لأمر طارئ. أنزلتني الطائرة في ثكنة القبة حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر لتعود الى بيروت، فقصدت فوراً مكتب العميد يحيى رعد قائد الثكنة ورويت له القصة. فاتصل العميد رعد بالعقيد السوري محمد الشعار طالباً اليه الحضور على وجه السرعة معتبراً أن القضية دقيقة وبالغة الأهمية مفضلاً أن يتم التحقيق بحضور المسؤول السوري، ثم أرسل الشرطة العسكرية كي تحضر الرائد معاليقي والعريف خالد مصطفى من منزليهما. ولم تمض عشر دقائق حتى وصل العقيد الشعار فأطلعته على الموضوع. انتظرنا حوالى الساعة وصول العسكريين وقد رافقهما بعض أفراد عائلتيهما.

بدأنا، نحن الثلاثة، استجوابهما في مكتب العميد رعد. وقد استمرت عملية الاستجواب هذه حتى الخامسة صباحاً، وكانت ليلة رهيبة لا تنتسى. بدأنا باستجواب كل منهما على انفراد. روى العريف خالد أن الرائد معاليقي قد تلقى أوامر بقتل الرئيس من أحد ضباط عون مختلقاً قصة من صنع خياله، وقد بدا جريئاً في موقفه. أما الرائد معاليقي فقد نفى كلياً القصة لكنه بدا مرتعباً بسبب ضخامة القضية. وأذكر أنه عندما جمعناهما وجهاً لوجه في حوالى الساعة الثالثة صباحاً نظر العريف مباشرة في عيني الرائد قائلاً له: نعم، انت استدعيتني الى مكتبك واجريت اتصالاً هاتفياً من ستة أرقام وتكلمت مع أحد ضباط عون الذي طلب منك أن تعد سيارة مفخخة لقتل الرئيس، وانتصب العريف واقفاً كالسهم موحياً بأنه مرتاح جداً في وضعه. أما الرائد فانه نفى كل ذلك وهو يرتجف وكاد أن يغمى عليه. إزاء هذا المشهد أوشكنا أن نصدق أن الرائد متورط، لكن كان في روايات العريف شيء من الخيال والتناقض. وبعد مناورات طويلة صفع العقيد

شعار العريف محاولاً تخويفه، فبادرت الى اخذه الى غرفة جانبية وأعطيته فرصة أخيرة كي يقول الحقيقة واعداً بإبقائه في ثكنة طرابلس، وهددته إن لم يفعل بإرساله مع زوجته التي كانت تنتظر في غرفة مجاورة الى سجن المزة في سوريا حيث لن يتمكنوا بعدها من رؤية أولادهم. وفي الرابعة صباحاً انهار واخبرني أن القصة كلها كانت من صنع خياله. وقد اعتقد أنه باختلاقه قصصاً من هذا النوع يمكنه التقرب من محيط الرئيس ويصبح عنصراً من الحرس الجمهوري، ولم يتصور أن قصة من هذا النوع يمكن ان تكتشف بهذه السرعة. أودع العريف في سجن ثكنة القبة، اما أنا فقد شعرت بالخجل من الطريقة التي عاملنا بها الرائد معاليقي. فاعتذرت منه عند الفجر وها انا أكرر اعتذاري الآن خطياً لأنني لم ألتقه من حينها. أما نتائج هذا التحقيق فلم يطلع الرئيس معوض عليها لأنني لم أره بعدها، ففي الخامسة صباحاً ذهبت الى منزل أهلي في زغرتا.

في الساعة السابعة من مساء هذا اليوم، وأثناء وجودي في ثكنة طرابلس، وجه الرئيس رسالة الاستقلال مباشرة من على شاشة تلفزيون لبنان، بعد أن تعذر عليه إعلان حكومته قبل الاستقلال كما كان يتمنى، إذ ان حزب الكتائب أرجأ اتخاذ قراره في شأن المشاركة في الحكومة مدة ثمان وأربعين ساعة أخرى. وكان الرئيس معوض قد تحادث مطولاً على الهاتف مع جورج سعادة وبدا مستاءاً منه لدرجة ان صراخه سمع في المقر كله، بحسب ما روى العاملون في المقر المؤقت.

في المساء قام وليد جنبلاط ونبيه بري بزيارة الى الشام، فاجتمعا بنائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام ليصرحا بعدها أنهما يريدان حكومة موسعة اكثر. ومن الجهة الأخرى كان العماد عون قد وجه أيضاً رسالته للاستقلال من على شاشة تلفزيون أل. بي. سي. اعتبر فيها أن اتفاق الطائف هو خيانة وطنية وفشل عربي ودولي.

وفي ما يلي نص الرسالة التي وجهها الرئيس رينه معوض الى الأمة في ٢١ تشرين الثاني ١٩٨٩، عشية عيد الاستقلال:

«أيها اللبنانيون،

في أول رسالة أوجهها إليكم، عشية يوم الاستقلال، أحييكم تحية الوفاق، وألقي عليكم سلام المحبة وأبادر الى مصارحتكم بما في نفسي من مشاعر.

كلنا نعلم في أي وضع هو لبنان اليوم، وكم من الصعوبات يعاني، وكم من الأزمات يتخبط فيها، بعد النكبات المتلاحقة التي ألمت بالوطن. فآثارها ظاهرة في كل منطقة، في كل بلدة، وفي كل بيت. كما لا أريد التخفيف من قساوة الحقيقة، ومرارة الواقع، لأن مواجهة الأمور هي شرط أساسي لتغييرها ,فتعالوا نواجه معاً أمورنا اللبنانية، وأنا على يقين من أننا سنصل الى النتائج ذاتها، ونوحد قرارنا وموقفنا.

لنتبصر في أوضاعنا، ونحلل أسباب مأساتنا، ونحدد مسؤولياتنا. لنتمعن في ما تسبب به خلافنا وانقسامنا، وصراعات النفوذ، ومضاربات السلطة، والمواقف الفئوية، وطفرة الغرائز، وفورة التعصب، وتفجير الأحقاد وتهدم المؤسسات.

لنتذكر كل ذلك ونعرض فصوله في صورة موضوعية مجردة، لكي نقرر مرة أخيرة ونهائية، انه كان خطأ جسيماً مميتاً يجب الرجوع عنه فوراً وإصلاحه، لا التشبث به والاصرار عليه.

« أيها المواطنون،

لا وطن، ولا دولة، ولا كيان دون وحدة الشعب. لا وحدة دون وفاق ولا وفاق دون مصالحة، ولا مصالحة دون تسامح وتضحية، ولا شيء من كل هذا دون إيمان ومحبة.

لذلك فإن دعوتي الأولى هي الى المصالحة لتعميم الوفاق، الذي انطلق من إجماع ممثليكم الشرعيين تعبيراً عن إرادة السلام لديكم.

«أيها اللبنانيون،

لم يعد أحد منا يطيق صبراً على المحنة-المأساة. ولم يعد أحد منا يقبل العيش وكأننا في القرون الوسطى، دون ماء ودون كهرباء، دون مسكن تهجرنا

منه أو تهدم، بعيداً عن القرية التي كانت مهداً لآبائنا واجدادنا، وأصبحت خراباً أو دماراً ولم يبقَ منها الا الذكريات الأليمة.

لم يعد أحد منا يطيق الوقوف صفوفاً طويلة للحصول على رغيف يقتات به أولادنا، أو الانتقال ضمن المدينة الواحدة على معابر يصعب اجتيازها، أو الانتظار أمام أبواب السفارات للحصول على تأشيرة دخول الى بلد آمن.

كفانا قهراً وكفانا عذاباً.

كفانا ذلاً وكفانا دماً.

كفانا تقهقراً وكفانا إفقاراً.

كفانا تهجيراً وكفانا تهجراً.

كفانا رهانات وكفانا مغامرات.

آن لنا جميعاً، وأنا منكم واليكم، أن نعود سوياً الى شاطئ الأمان، الى هذا الوطن، الذي كان موضع اعتزازنا بما يمثله في التاريخ وفي العالم من عيش مشترك وإنجازات حضارية، والذي يجب أن يعود، بسعينا جميعاً، الى دوره الرائد والمميّز.

«أيها اللبنانيون،

بعد خمسة عشر عاماً من الموت والدمار، يجب ان يرجع كل واحد منا الى ضميره، ويأخذ قراره الشخصي. فأنا لا اتصور لبنانياً واحداً يصر على هدر الفرص، ويضيع العطف العام، الذي تحظى به مسيرة الوفاق والسلام من أمم الأرض وشعوبها، الا إذا كان يتنكر لوطنه ويريد الانتقام من شعبه، وإني أربأ أن يكون بين أهلنا وقومنا من يجرؤ على ذلك.

«أيها اللبنانيون،

أخاطبكم بهذا مباشرة لأنني حريص على تجنيب اللبنانيين المزيد من العنف والعذاب والقهر.

وأؤكد لكم أن قرار الخلاص قد اتخذ وسينفذ، أياً تكن العقبات والتضحيات، ولن نسمح للشهوات والأطماع والمؤامرات أن تعطل آلية الحل

السياسي، وتعرقل مسيرة السلام.

«أيها اللبنانيون،

أما وقد صارحتكم بما في نفسي، فلا بد من إطلاعكم على عزمي ونهجي في عهد رئاستي، لأن المسؤولية تجمعني وإياكم، كلاً في نطاقه، ولأني أعتبر الثقة هي القاعدة الأساسية لعلاقتي بكم.

فانطلاقاً من أن الجمهورية الجديدة هي جمهورية المؤسسات، سأحرص على تعزيز كل منها والسهر على ان تؤدي أدوارها، وتمارس صلاحياتها ومهامها، بتوازن وانسجام ومشاركة في المسؤولية، وفقاً للأصول الدستورية. فالدولة لا تنهض الا بوحدة مؤسساتها وتكامل سلطاتها، وتعاون أبنائها، واحترام أنظمتها، وتطبيق قوانينها.

إن المصلحة الوطنية هي المقياس، والقانون هو الحد، فلا تهاون مع التجاوز، ولا تساهل مع الارتكاب. لا ارتهان للتعنت، ولا خضوع أمام التحدي. لا مسايرة للباطل، ولا مساومة على السيادة. ولن يكون مصير الوطن ومستقبل الشعب تحت رحمة أحد.

إن ارتقائي سدة الرئاسة في هذا الظرف بالذات يحمّلني مسؤولية وطنية خطيرة. ولقد نذرت نفسي، منذ اللحظة الأولى لانتخابي رئيساً، للتعاطي مع هذه المسؤولية بوعي وإدراك لدقة المرحلة التي نمر بها، وبتصميم أكيد على بذل الجهود، مهما عظمت، والتضحيات، مهما كبرت، من أجل إنهاء آلام اللبنانيين وتحقيق آمالهم وتأمين سيادة كاملة لدولة لبنان الديموقراطية، القائمة على وحدة الشعب والأرض والمؤسسات، وعلى احترام حرية الفرد وحقوق الانسان، وإصلاح النظام وتحديثه بما يحقق العدل والمساواة وتكافؤ الفرص بين جميع اللبنانيين.

من أولى واجبات الدولة أن تصون الاستقلال وتحافظ عليه. وهي تصونه بفضل وعيكم ووفاقكم. تصونه بتعزيز روح الاعتماد على النفس عند كل فرد منكم. تصونه بالنظام والعدل والمساواة وتطبيق القوانين على الجميع من دون تمييز. تصونه بالعلاقات العربية الأخوية والصداقات الدولية الوثيقة. تصونه

بالجيش القادر المنضبط.

إن الجيش اللبناني هو مدرسة الانضباط، وإني أضع ثقتي في مناقبية ضباطه وصدق ولائهم للشرعية، وفي وعي جنوده وبسالتهم، وأعرف أنهم جميعاً جديرون بحمل أمانة لبنان، وأنهم ملتزمون شرف القسم وقدسية الواجب، وأنهم قادرون، من داخل المؤسسة، وبالتعبير الانضباطي، على منع أي استغلال، وردع كل تجاوز.

«أيها المواطنون،

لقد صمد لبنان، على امتداد سنوات المحنة الطويلة، بفضل إيمان شعبه، وصبره، وصلابة مواقفه، ومرونة أساليبه. وظل قلبه نابضاً، وفكره ثاقباً، وبنيته متينة وخميرته صالحة، بفضل توازن تركيبه الاجتماعي، والنشاط الاستثنائي لقطاعاته الانتاجية، ومحافظته على نوعية الخدمات الاقتصادية، ووفرة مخزونه واحتياطه القومي، وبفضل حركية نظامه الحر، وتضامن أبنائه المنتشرين في أنحاء الأرض، مع أهلهم المقيمين، وتضامن اخوانه العرب، وأصدقائه في العالم، قادة وشعوباً، مع قضيته، وتحسسهم بحاجاته.

وعندما أستعيد علامات المجهود الضخم، الذي بذله شعبنا على مختلف المستويات، وفي شتى القطاعات، للحفاظ على جذوة الحياة في جسد الوطن الجريح، يملأ نفسي الاعتزاز بالانتماء الى هذا الشعب الأبي، وأطمئن الى المستقبل. وإني أخص كل فرد من إخواني وأبنائي، الذين أسهموا في الصمود الوطني، بمودتي وتقديري، وأعاهدكم على المضي قدماً في خدمة لبنان.

إني اخاطب العمال والمزارعين، كما أخاطب أهل العلم والثقافة والجيل الجديد، وأصحاب الاختصاص، وأرباب المشاريع، مؤكداً أن الشأن الاجتماعي سيكون في طليعة اهتمامات الدولة في كل القطاعات والمناطق.

وأوجه تحية خاصة الى اللبنانيين، والمتحدرين من أصل لبناني، الرافعين راية الأرز تحت كل سماء، وقد كانوا دائماً عضد الوطن وموضع فخره، وإني أدعوهم الى العودة بكثافة الى أحضانه، والاسهام في مجهود السلام والنهضة.

وأتوجه بشكر عميق الى أصحاب الجلالة والفخامة والسمو، ملوك الدول

العربية ورؤسائها، خصوصاً قادة اللجنة العربية الثلاثية العليا، على ما بذلوا من جهد لدعم مسيرة السلام والوفاق، وعلى ما أبدوا من استعداد لإعمار لبنان، وتسريع عودة العافية اليه. وإني اعاهدهم على أن يبقى لبنان، الى جانب اخوانه، داعية تضامن، ورائد تعاون، وطليعة وفاء بالمواثيق والالتزامات.

ولا بد من التنويه بالدور الفاعل للشقيقة سوريا في تحقيق الوفاق الوطني حرصاً منها على تعزيز الوحدة الوطنية وتمكين لبنان من استعادة عافيته ورسالته.

كما أعلن امتنان لبنان لجميع الدول الصديقة، قادة وشعوباً، وللمحافل الدولية، وأخصها مجلس الأمن، على ما أحاطوا به لبنان من دعم في محنته الطويلة.

«أيها الأخوة والأبناء،

لقد تحمل أولادنا، في الجيل الطالع، الكثير من أرزاء الحرب، ولم ينعموا بخيرات السلم، وحرموا التمتع بأحلى سني العمر. فحق لهم علينا المزيد من التفهم والاهتمام والرعاية. ووجب إتاحة فرص جديدة حقيقية امامهم، وهذا ما سنعطيه اولوية مطلقة، لأن الدافع الأساسي لنضالنا هو الحفاظ على وطن الاباء والأجداد، إرثاً مباركاً للأبناء والحفدة. وعهداً على نفسي ان لا أوفر جهداً في مواكبة تطلعات أجيالنا، وتحقيق طموحها الى الغد الأفضل، في إطار الديموقراطية الصحيحة، وتكافؤ الفرص.

فباسم أبنائنا، باسم لبنان المستقبل، لبنان الأمل والحياة، أدعوكم الى الالتفاف حول وثيقة الوفاق الوطني، التي هي مشروع للسلام، يحقق الوحدة والحرية والسيادة والتطور. كما أدعوكم الى رفض مشروع الحرب الذي يؤدي الى التقسيم، دون أن يؤمن قطعاً لا سيادة للوطن، ولا حرية للمواطن.

إنني ادعوكم الى الانضمام الى موكب التحرير، من أجل استعادة أرضنا المحتلة في الجنوب والبقاع الغربي وتطبيق القرارات الدولية المتعلقة بتحريرها.

«أيها اللبنانيون،

إن الاستقلال الذي نتذكره غداً هو عمل كل يوم، ويحتاج الى جهد كبير

وسعي متواصل، لكي يعود ويكتمل ويتوطد.

وحسبنا في ذكراه ان ندرك معناه، ونبدأ السير في اتجاهه، معتصمين بوحدتنا، ممسكين بالديموقراطية نظاماً، وبالحرية نهجاً، وبمستوى حضاري، هو طابع هذا الشعب ورسالته، هو قدره ورهانه. ونحن سنؤدي الرسالة، وسنربح الرهان من اجل لبنان.

«أيها اللبنانيون،

التاريخ لا يلغى بقرار. الثاني والعشرون من تشرين الثاني سيبقى يوم الاستقلال. سنحوله من ذكرى الى عيد. وبالايمان، بالمحبة، بالتعاون والتضامن، نمحو الحزن، ننتصر على اليأس، نستعيد شرف الانتماء هوية واحدة لأرض واحدة.

نداثي اليكم سؤال من القلب الى القلب: هل نحب هذا الوطن؟
أعرف الجواب، تعالوا، إذن، نتحد، نبني معاً، نفرح ونعيش.
عاش لبنان!»

كلمة للحق والتاريخ تقال إن خطاب الاستقلال هذا كان من أروع واشمل ما يمكن أن ينتجه عقل وخيال وإيمان بالقضية والرسالة التي نذر الرئيس معوض نفسه في سبيلها.

لقد اختصر وثيقة الوفاق الوطني بكل مضامينها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والانمائية بشكل عام. كما وضع الرؤية المستقبلية للبنان الغد الذي طالما حلم به، بالإضافة إلى الوجدانية الصادقة التي لامست مشاعر وطموحات كل اللبنانين، المقيمين والمغتربين، كما كل المعنيين بإنقاذ لبنان.

بعد إلقاء رسالة الاستقلال، بدا الرئيس معوض في نشوة وزهو لا مثيل لهما كأنه تيقن بأنه وضع في خطابه قلبه وفكره ومشروعه الرئاسي المستقبلي بأبسط ما يكون ليلامس فيه عقول ومشاعر كل اللبنانين والمغتربين الحريصين على اعادة توحيد لبنان كما كل المرجعيات المحلية والدولية.

جلس بعدها مسترخياً على كنبة في الطابق الخامس فاقترب منه المسؤول

الاعلامي عبد الله معوض ونقل اليه بعض ردود الفعل المهنئة على الخطاب المذكور فزاد زهواً واعتزازاً، كما الصقور في الرحاب الواسعة لا تأبه لمكر الخفافيش بين الثقوب المظلمة ولا الصيادين المتخفين جبناً وراء أكمات المؤامرات القذرة للنيل من الشواهق المتعالية على الدسائس وعفن العقول السوداء.

ورأى الرئيس مستشاره الاعلامي متعباً فربت على كتفه وسأله عن السبب، فأجابه أن تعبه ليس بفعل ضغط العمل بل وليد الهواجس الضاغطة، فهل من الضروري أن نبقى في تنقل دائم بين المقر الرئاسي المؤقت والقصر الحكومي؟ فانتفض الرئيس حانقاً وقال: «لماذا تريدون كلكم تخويفي؟ هل ترون يدي ملطختين بالدم ليقتلوني؟ لا أريد أن أسمع هذا الكلام ثانية. كبّر عقلك، وقل: «الله» ولا تخف. على كل يمكن غدا يكون آخر مرة ننزل فيها الى القصر الحكومي.»

وبالفعل كانت هي المرة الأخيرة، ليس لأنه أرادها كذلك بل لأن القدر شاء ذلك.

اليوم الأخير
الأربعاء ٢٢ تشرين الثاني ١٩٨٩

يوم عيد الاستقلال رغب الرئيس في أن يتقبل التهاني في السراي الكبير، الصرح الشرعي الوحيد المتوفر كونه لم يستطع الوصول الى قصر بعبدا. أراد ان يظهر أمام اللبنانيين مع رئيسي المجلس النيابي والحكومة، على ان تكون هذه صورة الدولة اللبنانية وليس صورة الترويكا التي نشأت بعده والتي لم تكن لتبصر النور مع رينه معوض.

كان الضباط قد اتخذوا الإجراءات الأمنية ذاتها في السراي كما على الطرقات المؤدية اليه. وقد جرت منذ العشية عملية تفتيش السراي، ووضعت حراسة عليه، كما منع السير في الشوارع وأخليت منذ الصباح من السيارات المتوقفة فيها. وغادر الموكب الرئاسي المقر في حوالى الساعة الحادية عشرة وعلى رأسه سيارة الرائد جامع الجامع كما في كل التحركات السابقة.

بدأ الرئيس على الفور تقبل التهاني والى جانبه الرئيسان الحسيني والحص. فحضر النواب ورجال السياسة وأعضاء السلك الديبلوماسي ورؤساء البلديات والمخاتير والمسؤولون الكبار في القطاع العام والديبلوماسيون اللبنانيون والأجانب، جميعهم حضروا لتقديم التهاني في ذكرى استقلال لبنان.

في حوالى الواحدة بعد الظهر ذهب المقدم جوزف رميا بمبادرته الشخصية الى السراي ليحل مكان الرائد وفيق شقير، إذ أن سفيرين أجنبيين كانا سيحضران للغداء في المقر وشقير تعود استقبال السفراء لأنه عمل من قبل في القصر الجمهوري في عهد الرئيس سركيس. وكأن رميا انساق وراء قدره هو الآخر، إذ

لو ظلت الترتيبات كما وضعت لاستشهد شقير بدلاً منه .

عاد الرائد شقير الى المقر وأعد مراسم التشريف اللازمة لاستقبال سفير ألمانيا وسفير فنزويلا ، إضافة الى السفير سمير مبارك الذي وصل في الساعة الثانية . وقد استقبلتهما السيدة الأولى في انتظار عودة الرئيس .

حوالى الثانية بعد الظهر استعد الرئيس لمغادرة السراي الى المقر المؤقت ، وما من شيء منع عودته بصحبة الرئيسين الحسيني والحص لو لم يكن لكل منهما موعد مختلف . ولدى خروجه من السراي وصل شخص يحمل رسالة من كريم بقرادوني المقيم في باريس . أخذ عبد الله معوض الرسالة ليفتحها وحده في إحدى الزوايا لدواعٍ أمنية ، من دون أن يقرأها ، ثم سلمها للرئيس الذي وضعها في الجيب الداخليّ من سترته .

في الثانية وعشر دقائق غادر الموكب السراي ، وبعد دقيقة واحدة من انطلاقه دوّى انفجار كبير في محاذاة ثانوية رمل الظريف لدى مرور الموكب بالقرب منها . فقتل الرئيس وسبعة من مرافقيه وجرح خمسة آخرون . كان الرئيس قد أكمل الثلاثة والستون من العمر .

كانت المتفجرة مصنوعة من حوالى ثلاثمائة كيلوغرام من المتفجرات المتطورة جداً ، وقد جهزت لتنفجر بشكل مركز في اتجاه واحد مباشرة في سيارة الرئيس ، وقد وضعت في غرفة تقع خلف حائط المدرسة وفجرت بواسطة جهاز تشغيل عن بعد ، فنتج عنها حفرة عميقة ودمرت الحائط وقطعت سيارة الرئيس المصفحة نصفين وكذلك سيارة الرانج الروفر المواكبة . تحول قسما سيارة الرئيس كتلتين حديديتين قذفتا الى حوالى ثلاثين متراً في اتجاهين مفترقين متباعدين .

إثر الانفجار قدم حرس السفارة الألمانية بشكل طارئ الى المقر المؤقت ليصطحبوا السفير الألماني الى منزله ، وقد أبلغوا الرائد علي بحصون أنهم تلقوا اتصالاً هاتفياً من بون يبلغهم أن الرئيس اللبناني قد قتل . وفي هذه الاثناء كان الضباط قد سمعوا دوي الانفجار لكنهم لم يعرفوا بعد ما الذي أصاب الرئيس . غادر السفير الألماني بشكل طارئ وساد المقر جو من الهلع التام .

كان العميد اميل لحود على موعد مع الرئيس بعد ظهر هذا اليوم ، وكان حضر

يومها من المنطقة الشرقية ولم يستطع مقابلة الرئيس فأمضى ليلته في منزل العميد ادوار منصور .

في هذا الوقت كنت أنا ما بين زغرتا واهدن في طريق عودتي الى بيروت عن طريق البقاع ، حين سمعت نبأ الاغتيال على الراديو . فأحسست أن الكون توقف ولم اعد أعرف ماذا افعل . فبادر سائقي الى العودة بي الى منزل الرئيس معوض في زغرتا حيث هرع الناس جميعاً وهم لا يريدون تصديق ما حدث . امضيت تلك الليلة الرهيبة في زغرتا مع آل معوض وقاعدة الرئيس السياسية في الشمال ، وقد بدا أنهم لا ولن يتحملوا هذه الكارثة التي تبخرت معها جميع أحلامهم .

في اليوم التالي عدت بالهليكوبتر من ثكنة القبة في طرابلس الى بيروت لمرافقة جثمان الرئيس ورفاقه في عودتهم الى مسقط رأسهم ، وهم إضافة الى الرئيس معوض : المقدم جوزف رميا والعريف سايد الياس مورا والجندي جورج خوند ورينه كعدو معوض وأسعد أنور معوض ويوسف أنطوان الباشا ويعقوب السقال معوض . أما الجرحى فهم : النقيبان بطرس عزام وأنطوان مكاري والعريفان سليم فهد وريمون يوسف المقدسي ، وعنصر الدفاع المدني بدوي جود معوض .

ردود الفعل

إثر انتشار خبر الاغتيال انهالت آلاف الاتصالات الهاتفية من لبنان وخصوصاً من المهجر على المقر المؤقت ودارتي الرئيس في اهدن وزغرتا.

أثارت عملية الاغتيال ردات فعل محلية ودولية استنكرت هذا العمل المجرم.

الرئيس حسين الحسيني وصف الرئيس معوض بأنه شهيد الدولة الواحدة والشعب الواحد، فيما اعتبره الرئيس سليم الحص شهيد وحدة لبنان وهويته العربية وقيمه الانسانية والوطنية، وشهيد السلام والمحبة والأمل والوعد بمستقبل أفضل.

اما حكومة عون العسكرية فقد عقدت اجتماعاً دانت فيه الحادثة وحولت قضية الاغتيال الى مجلس القضاء الأعلى، لكن في مجالسه الخاصة احتفل العماد عون وأعوانه بهذا الحدث وشربوا الشامبانيا بالمناسبة في القصر الجمهوري. وكان من اللافت غياب عون المفاجئ في اللحظات الأخيرة عن احتفال الاستقلال الذي كان دعا، هو بدوره، الى القيام به في المدرسة الحربية في الفياضية في الساعة العاشرة من صباح يوم جريمة الاغتيال المروعة.

رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط هاجم العراق ومنظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل وفرنسا محملاً إياهم مسؤولية حدوث هذا الاغتيال.

واتصل الرئيس الحص بأعضاء اللجنة الثلاثية العربية ناقلاً اليهم النبأ. وبعد اغتيال الرئيس معوض كان الجميع من لبنان الى الخارج، يخشون قيام فراغ

دستوري يعيق انتخاب رئيس جديد .

وزير الخارجية الجزائري أحمد غزالي صرح بأن الرئيس معوض قد دفع ثمن تمسكه بوحدة لبنان ، مضيفاً أنه وللأسف كنا نعلم بامكانية حدوث هذه المأساة كما كان الرئيس معوض يعلم ، وبالرغم من ذلك ارتضى هذه المهمة الخطيرة لانقاذ لبنان . وقد لفتنا انتباه المجتمع الدولي بأكمله الى العوائق والأخطار التي تعيق تنفيذ اتفاق الطائف [١١] .

الرئيس الأميركي جورج بوش صرح بأسى كبير أن هذا يشكل عملاً إرهابيا فادحاً وقال ان واشنطن ستبذل جهدها لكشف الفاعلين والعمل على مقاضاتهم[١١] .

لم يصدر بيان رسمي في موسكو غير أن السفير الروسي في دمشق اعتبر أن اغتيال الرئيس معوض هو عمل إرهابي [١١] .

رئيس البرلمان الأوروبي انريكه بارون أصدر بياناً استنكر فيه اغتيال معوض معتبراً انه طعنة جديدة في صميم أمة ما تزال تعاني [١١] .

الجمعية العمومية للأمم المتحدة وقفت دقيقة صمت عن روح الرئيس معوض وذلك بطلب من رئيسها جوزف غاربا . اما الأمين العام للأمم المتحدة خافيير بيريز دوكويلار فقد عبر عن حزنه الشديد وعن تأثره لهذا الاغتيال الوحشي الذي نفذه من يريدون تدمير لبنان الموحد [١١] .

في باريس استنكرت الحكومة الفرنسية الاعتداء بشدة وأصدر وزير الخارجية رولان دوما بياناً مكتوباً داعياً فيه الى وقفة إكرام واحترام عن نفس الرئيس معوض ، رجل الحوار الذي وضع خبرته وشعوره الوطني في تصرف لبنان وهو يعلم تماماً المخاطر التي سيتعرض لها [١١] .

اما الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران فقد صرح أن هذه جريمة إرهابية ، وأوضح أن انتخاب الرئيس معوض كان قد أحيا أمالاً كبيرة لدى اللبنانيين والفرنسيين ، ومعوض واجه الأزمة بجرأة ووطنية لأنه آمن أنه يخدم وحدة بلاده[١١] .

رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق شامير صرح ان اغتيال الرئيس معوض هو من أشكال التعبير عن العنف والارهاب في الشرق الأوسط . فيما قال رئيس

اركان الجيش الاسرائيلي دان شمرون أن اغتيال الرئيس معوض يعني موت اتفاق الطائف ، في حين كان المستشار الاعلامي في الحكومة الاسرائيلية يوسي أولمرت يصرح أنه ليس لاسرائيل مصلحة في دعم العماد عون لأن هذا الأخير تلقى دعم العراق ومنظمة التحرير الفلسطينية لاخراج السوريين من لبنان ، فالعرب المعادون لسوريا ليسوا حكماً أصدقاءنا . وبامكان عون أن يفعل ما يشاء وهو الذي سيدفع نتيجة أعماله . فنحن لا نعارض الجهود التي تبذلها سوريا من أجل إعادة إحلال الأمن في لبنان [١١] .

الأمين العام للجامعة العربية ، الشاذلي القليبي ، استنكر الاغتيال قائلاً أن اليد التي قتلت الرئيس معوض أرادت أن تقضي على الشرعية في لبنان عبر إدخال هذا البلد مجدداً في دوامة لا نهاية لها من العنف [١١] .

الحكومة التونسية استنكرت هذا العمل المجرم ضد الرئيس الذي أراد إحياء المؤسسات والسلام في لبنان [١١] .

الملك فهد اتصل بالملك الحسن الثاني وبالرئيس الشاذلي بن شديد ليتباحثوا في ما يمكن فعله لتأمين استمرارية الشرعية في لبنان [١١] .

الرئيس الجزائري الشاذلي بن شديد قال بأن الجزائر تستنكر هذا العمل الارهابي وستستمر في مساعدة شعب لبنان الشقيق من أجل بلوغ السلام [١١] .

الملك الحسن الثاني عبر عن ألمه وحزنه قائلاً ان هذا يشكل عملاً ارهابياً جباناً يستنكره الضمير العالمي [١١] .

الحسين ، ملك الاردن ، استنكر بشدة هذا العمل الجبان الذي استهدف حياة الرئيس ووحدة لبنان ووجوده ، اما رئيس وزرائه زيد بن شاكر فقال ان عملية الاغتيال هذه هي كارثة على الأمن والسلام في لبنان ، وانه عمل إجرامي إرهابي[١١] .

الرئيس المصري حسني مبارك صرح بأن هذا عمل إجرامي إرهابي وأنه يخشى تجدد أعمال الحرب والعنف في لبنان لتهرق المزيد من الدماء [١١] .

في دمشق قال وزير الدفاع العماد مصطفى طلاس ، الذي كان يمثل الرئيس الأسد في أحد الاحتفالات العسكرية ، أن الانفجار الذي اودى بحياة بطلنا الشهيد ما كان ليتم بدون الخبرة الاسرائيلية والمباركة العراقية لينفذ على يد

ميشال عون، ونحن سنقطع اليد التي قتلت الشرعية في لبنان [١١].

إيران والعراق أذاعتا نبأ اغتيال الرئيس معوض في اليوم نفسه بدون تعليق. وغداة الاغتيال كتبت صحيفة الثورة الناطقة باسم حزب البعث العراقي ان اغتيال الرئيس معوض هو مؤامرة اجرامية نفذها السوريون أو الايرانيون أو الاثنين معاً. وأعلنت إيران أن العماد عون وحلفاءه العراقيين والاسرائيليين هم الذين قتلوا الرئيس معوض [١١].

صلاح خلف (أبو إياد)، الرجل الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية، تمنى أن يجتمع البرلمان اللبناني على وجه السرعة لانتخاب رئيس جديد معلناً أسف منظمة التحرير لاغتيال الرئيس معوض [١١].

في أبو ظبي استنكرت الامارات العربية بشدة عملية الاغتيال وحضت اللبنانيين على التكاتف من أجل انقاذ وحدة لبنان [١١].

في الخرطوم عبرت الحكومة السودانية عن عميق أسفها لكون قوى الشر قد قضت على المصالحة الوطنية في لبنان [١١].

يوم الخميس، غداة اغتيال الرئيس معوض عاد البطريرك نصر الله صفير الى بكركي. وكتب الاستاذ غسان تويني افتتاحية في صحيفة النهار جاءت بمثابة مرثية للرئيس أبكت اللبنانيين في لبنان والمهجر، تستحق إعادة نشرها في هذا الكتاب:

«حقنا في الحياة ... وحقنا عليها؟

جفت عيون شعبنا، فلم يعد أحد يقوى على بكاء ...

نكاد نصير كلنا غضباً، وجنونا!

ترى في عيد الاستقلال، هل هو رينه معوض الذي مات، أم لبنان يحاولون، مرة أخرى، اغتياله، بل، افتراسه؟

المؤامرة لا تشبع ... ولا ترحم!

وهي تفترس الشهداء في كل صوب، كأنها توحدنا هكذا ...

توحدنا المؤامرة في الموت، من رئيس الى رئيس، ومن زعيم الى زعيم: كمال جنبلاط وبشير الجميل، طوني فرنجية ورشيد كرامي، ثم حسن خالد واليوم رينه معوض ...

فدور من يأتي غداً؟

وهل نستمر، هل يستمر لبنان يعاند، يرفض أن يزول، يرفض الدرس، لا يتعلم، لا يفهم، لا يدرك؟

***

«عندما يذهب كبير الى الدنيا الآخرة، تحار ماذا تتذكر عنه ومنه: آخر الأقوال، أم أول الصداقة؟

أمس، أمس فقط كان يقول الرئيس:

«أنحني بخشوع أمام شهداء الوطن الأبرار من كل مناطقه ومن أي انتماء... وقد أدوا ضريبة الدم وتركوا في القلوب جروحاً لا تندمل وفي الأعماق دموعاً لا تجف»

هل كان يعرف رينه معوض أنه كان كمن يرثي نفسه؟

لا ... كان يؤمن بالحياة ويحبها، يكاد لا يصدق أن الموت لنا في المرصاد!

وحدنا، أصحابه من أيام الصبا، كنا نعرف كم كان تعبده للحياة هو الأقوى، حتى ساعة يذر الخصام قرنه ...

وحدنا كنا نعرف كم كان السلام، بل كم كانت المسالمة، في نفسه، وفي عينيه، وفي العقل البراق خلف العين تلمع به ...

كم كانت المسالمة شعاره، حتى في دنيا العنف التي عايشها، فيجتاز أمواجها هادئاً راضياً متروياً!

«أوجه دعوة حارة ملحة الى كل اللبنانيين أينما كانوا للانضمام الى مسيرة السلام والبناء تحت شعار الوفاق ...».

أمن أجل هذه الدعوة قتلوه؟

«إن الوطن في حاجة الينا جميعاً، فلنضع حداً نهائياً للعنف والانقسام، ولنكف جميعاً عن الاحتكام الى السلاح، فمن حق شعبنا أن يستعيد حق الحياة»! ...

***

««حق الحياة»؟ ...

لعل هذا الحق هو ما دفع رئيس جمهورية السبعة عشر يوماً ثمنه من دمه

والكلمة والآمال والأحلام الكبار!

«أعاهدكم بأنني لن أسمح لنفسي بلحظة راحة الا وقد استتب الأمن اللبناني الشرعي في آخر بقعة من أرضنا ...

«لن أرتاح الا وقد تم إعمار ما تهدم وإسكان من هجر وإعادة من هاجر.»

... وينقطع الكلام!

هل ترتاح حيث انت اليوم يا فخامة الرئيس الحبيب؟

لعلها المؤامرة سمعتك، فلا هي ارتاحت، ولا ارادت لك الراحة، ولا لنا!

ولا هي أرادت أن ينعم شعبك بهذا الذي سميته «حق الحياة»!

فهل غداً لبنان بلا حارس لدستوره، ولا رادع يفزع اليه، ولا وازع يرد عن الحق الأذى؟

وماذا عن الاستقلال نحتفل بعيده كأننا نغسله بأغلى دماء؟

وهل يقضى على الاستقلال في يوم عيده، ويستسلم الأحرار صاغرين؟ ...

يا لهول الفراغ! ...

ولكن ما أعظم الانتقام إذا كان يرد على العنف بالسلام ...

نظلم التاريخ إذا نحن اليوم استسلمنا لبؤس الحزن ويأسه، خائفين ...

يجب ألا يكون في قلبنا مكان لخوف، وأن يكون الايمان بلبنان هو الأقوى.

ما اعظم الانتقام إذا نحن اليوم انتقمنا من المؤامرة بأن نلبي النداء فنتوحد ونتحدّ لنعلن على الحرب حرباً، علّنا نقتل الموت بالحياة!

***

يا أجراس اهدن، نريدك أن تعزفي غداً أنغام الحرية والحياة!»

في غمرة الحلم الضائع

يوم السبت في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٨٩، كنا منهمكين بدفن قتلانا في زغرتا، فيما كان النواب ينتخبون رئيساً آخر في شتورة لمنع حدوث الفراغ الدستوري في البلاد، وذلك بالحاح من السيدة نائلة معوض التي شاءت رد تحدي الاغتيال بانتخاب رئيس جديد للبلاد، فشكرت النواب الذين اتصلوا بها مبدين رغبتهم في المجيء الى زغرتا للمشاركة في مراسم الدفن، وتمنت عليهم المسارعة الى العمل لمنع حدوث فراغ دستوري جديد في البلاد.

حلم تحقق، لكنه سرعان ما تلاشى اغتيالاً، وفي وقت قياسي. آمال كبار انعقدت عليه، في عيلته وقاعدته السياسية وبين أصدقائه وفي أوساط غالبية اللبنانيين المقيمين والمغتربين. الكل أمل أن تنحل أزمة الوطن فيجد حلاً لمشاكله الخاصة. كل هذه الآمال سقطت وسقط معها الجميع الى أدنى الدركات. لحظة انتخابه بدا وكأن العجزة في زغرتا، رجالاً ونساء، استعادوا شبابهم، ولكأن المرضى شعروا بالعافية. ولحظة موته دب فيهم العجز مجدداً أكثر من ذي قبل. يا لرؤيتهم يذبلون مثل الورود إذ يغلفها الظلام. وما لا يصدق هو هذا التأثير الذي يمكن لزعيم من هذا النوع أن يتركه على المعجبين به وعلى أصدقائه بوجهيه الايجابي والسلبي.

بسرعة حدث كل شيء، ولم يتوفر لنا الوقت كي نرى بوضوح ونستعيد أنفاسنا وننظر حولنا. رفعنا جثث قتلانا وكأننا في فيلم خيالي أو حربي أميركي.

تهاوت بنا الحال من سكرة الفوز الى الضياع ففقدان الحس فالصدمة فالغيبوبة فالشلل.

رئيس الجمهورية اللبنانية اغتيل يوم عيد الاستقلال، وهو الرئيس الأول في العالم الذي يغتال في عيد استقلال بلاده. وما يزال ملف التحقيق في اغتيال الرئيس معوض خالياً من كل معطيات بين أيدي القضاء، واختفى محرك السيارة الملغومة من مركز الدرك اللبناني. والكل، في القطاعين الخاص والعام، يتهرب من الكلام في هذا الموضوع.

ثلاثة عشر عاماً عشتها مع هذا الشعور بالذنب لأنني فشلت في حماية الرئيس أو في مساعدته على حماية نفسه. والشعور نفسه ينتابني إزاء أولئك الذين قضوا معه لأنني انا بنفسي اخترتهم للقيام بهذه المهمة النبيلة والمقدسة، وكم اشعر بأنني أفسدت حياة اولئك الذين أصيبوا بالجراح معه وظلوا على قيد الحياة لأن حياتهم تغيرت جذرياً بعد اغتياله!

وقد انتهى بي الأمر الى الايمان الأعمى بالقدر وبأن الله قد وهبنا نعمة النسيان، نسيان المآسي، ومن يعجز عن النسيان يعجز عن الاستمرار في الحياة.

المراجع

(١) جريدة النهار في ٧/ ١١/ ١٩٨٩
(٢) جريدة النهار في ٨/ ١١/ ١٩٨٩
(٣) جريدة النهار في ١٠/ ١١/ ١٩٨٩
(٤) جريدة النهار في ١١/ ١١/ ١٩٨٩
(٥) جريدة النهار في ١٢/ ١١/ ١٩٨٩
(٦) جريدة النهار في ١٤/ ١١/ ١٩٨٩
(٧) جريدة النهار في ١٥/ ١١/ ١٩٨٩
(٨) جريدة النهار في ١٧/ ١١/ ١٩٨٩
(٩) جريدة النهار في ٢٠/ ١١/ ١٩٨٩
(١٠) جريدة النهار في ٢١/ ١١/ ١٩٨٩
(١١) جريدة النهار في ٢٣/ ١١/ ١٩٨٩

المطابع التعاونية الصحفية ش. م. ل . ، بيروت، لبنان

كان الخامس من تشرين الثاني يوم أحد صافي الطقس. اجتمع البرلمان اللبناني في قاعدة القليعات العسكرية فأقر وثيقة اتفاق الطائف التي أصبحت دستور لبنان الجديد، وأعاد انتخاب النائب حسين الحسيني رئيساً للمجلس النيابي والنائب ألبير مخيبر نائباً للرئيس. وعلى الفور أعلن الرئيس الحسيني افتتاح جلسة انتخاب رئيس للجمهورية، وقد انتهت عملية التصويت بانتخاب النائب رينه معوض رئيساً للجمهورية اللبنانية، في الدورة الثانية بعد تعذر حصوله على اكثرية الثلثين في الدورة الأولى، بعد أربعمائة وتسعة أيام من الفراغ الدستوري في سدة الرئاسة الأولى. وبذلك تحقق حلمي وحلم جميع آل معوض والقاعدة السياسية للرئيس معوض في الشمال وكل اللبنانيين الشرفاء والتواقين إلى عودة السلام والاستقرار إلى بلدهم. وقف الرئيس رينه معوض بكل ثقة أمام زملائه النواب ليقسم بالله العظيم أن يقوم بواجبه كاملاً وأن يصون دستور لبنان واستقلاله. ثم ألقى خطاب القسم الدستوري الذي كان قد أعدّه مع النائبين ادمون رزق ونصري المعلوف على متن الطائرة في رحلتهم من باريس إلى القليعات. هكذا تبدأ رواية حوادث اليوم الأول من أيام العهد الثمانية عشر.

طنّوس معوّض عميد في الإحتياط في الجيش اللبناني. كان قريباً جداً من الرئيس معوض وعرف معظم أسرار عهده.

ISBN 2-84289-405-7

